الشعراء الأمراء

احمد سويلم

حقوق الطبع والنشر محفوظه
لدار الأديب للنشر والتوزيع

اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الكتاب	الشعراء الأمراء
اسم المؤلف	أحمد سويلم
رقم الإيداع	(٢٠١٨/٢٢٢٧٩) بدار الكتب المصرية
الإخراج الصحفي	دار الأديب. (إيهاب القاضي)
الغلاف	من تصميمات الدار

أما قبل

هناك مثل عربي قديم يقول: حبذا الإمارة ولو على الحجارة!

أما مادة (أمر) فى المعجم فلها دلالات كثيرة.. فالأمر نقيض النهى.. والأمر قد يعنى الحادثة.. ومن ائتمر رأيه فى كل ما ينوبه يخطئ أحيانا.. ويقال ائتمرت فلانا فى ذلك الأمر إذا شاورته.. وفى الحديث: أميري من الملائكة جبريل: أي صاحب أمري ووليي.. وكل من فزعت إلى مشاورته ومؤامرته فهو أميرك.. والأمير.. الملك لنفاذ أمره بين الإمارة.. وأمَّر أمارة إذا صير علما والإمرة والإمارة معنى واحد.. وهناك مشتق آخر هو الأَمَرة: أي الرابية والأمَرة مثل المنارة.

المعاني إذن كثيرة.. لكنها تشترك فى أمر واحد هو أن الأمير شخص يحتل مكانة أعلى عن غيره من الناس.. ويمتلك الرأي والمشورة.. ولديه قدرة على التأثير وجمع الناس على رأي واحد.

والشعور بالإمارة تتنوع صوره.. فالأب أمير فى بيته.. وصاحب العمل أمير فى عمله.. وقائد الجند أمير عليهم.. والمدرس أمير على تلاميذه.. وهكذا.

فإذا توسعنا فى الصور.. كان الإمام أميراً على من يؤمهم.. والخطيب أو الشاعر أميرا على المتلقين ساعة الاستماع إليه.. ويتلقي احترامهم حتى لو التقوه أو اجتمعوا به.

لهذا كانت الإمارة متسعة المعني.. يضاف إلى ذلك أن الأمير يمكن أن يحظى بإمارته عن طريق الوراثة.. أو طريق الظرف الذى وجد فيه فأمَّره الناس عليهم لما وجدوا فيه من سمات الإمارة.. أو عن إقناعه لمن حوله بأنه يمتلك مواهب الإمارة ويمتاز عنهم فى ذلك.

هذا إذن بعض ما أضاء لنا طريق هذا الكتاب الذى دار حول الشعراء الذى كـــانوا أمراء على من حولهم.. سواء أكانت إمارة سلطوية أم إمارة أدبية.. أم إمـــارة تتســـم بالقدرة على الحماية والقيادة والزعامة.

سيجد القارئ انحيازي إلى القيمة الشعرية إلى جانب سيرة الشاعر باعتباره أميـــراً أو خليفة أو زعيماً أو قائداً أو قيمة أدبية عالية.. لينتهي مع كل شخصية إلـــى تقـــدير إبداعها الشعري.

وكعادتي بدأت مع هؤلاء الأمراء فى العصر الجاهلي ثم مررت بالعصور التاليـــة حتى العصر الحديث.

ولا أزعم أنني أحطت بكل هؤلاء الأمراء.. لكنني أيضاً اتبعت منهج الاختيار الذى يقوم على شهرة الشاعر وإضافته وقيمته الأدبية والاجتماعية.. فربما أفلت منى شاعر لم تساعدني أخباره على تناوله.. أو ربما لم يمل وجداني إليه فلم أقبل عليه بعاطفـــة الحب التى لابد أن تتملكني حينما أكتب عن شخصية وأقدمها للقارئ العزيز فيكتشف فيها ما يضيف إلى عقله ووجدانه معاً..

ذلك هو منهجي فى هذا الكتاب أقدمه بكل حماس وإخلاص إلى قارئي العزيز الذى صحبته طويلا فى دراسات متنوعة أخرى على مدى مسيرتي الإبداعية،،

والله الموفق،،،،

أحمد سويلم

يوليو ٢٠١٥

امرؤ القيس

أمير الشعر القديم

فى كتابه {الموشح} يحكى المرزباني أن الوليد بن عبد الملك وأخاه مَسْلمة تشاجراً على شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني فى وصف الليل.. أيهما أجود.. فرضيا بالشَّعَبي أن يكون حكماً بينهما.. ولما حضر الشعبي أنشده الوليد قول النابغة:

كلينى لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

تطاول حتى قلتُ ليس بمنقَضٍ ... وليس الذى يرعى النجومَ بآئبِ

وصدرٍ أراح الليل عازبُ همِّه ... تضاعف فيه الحزنُ من كل جانبِ

ثم أنشده مَسْلَمة قول امرئ القيس:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولَه ... علىَّ بأنواع الهمومِ ليبتلىِ

فقلت له لما تمطَّى بصُلْبِه ... وأردف أعجازاً وفاءَ بكَلْكلِ

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلى ... بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

فيالك من ليل كأن نجومَه ... بكل مَغار الفتْل شُدَّت بيذبُل

كأن الثريّا عُلقت فى مصامِها ... بأمراس كتان إلى صمّ جندلِ

فضرب الوليد برجله طربا.. وهنا قال الشعبي: بانت القضية..

وليس فقط الوليد الذى طرب لأبيات امرئ القيس.. وإنما طرب لها كل من تناول أشعاره وتاريخه بالنقد والتحليل..

وهذا الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وخُتم بملك.. قاصداً امرأ القيس.. وأبا فراس الحمداني.

ويذكر التاريخ الجاهلي أن امرأ القيس ولد نحو عام ٥٢٠م وتوفى عام ٥٦٥م أي أنه عاش نحو خمسة وأربعين عاماً فقط.. لكنه ملأ الدنيا شعراً وإبداعا..

ويتصل نسب امرئ القيس بملوك كِندة.. وكندة بطن من كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان.

وجده الأكبر هو حُجْر وكان ملكاً على بعض القبائل العدنانية.. وقد صار ملكاً

حين غلب سفهاء بكر عقلاءها على أمر القبيلة.. وأكل القوى منهم الضعيف وتقاطعت أرحامهم فتشاور رؤساؤهم فيما بينهم لاختيار الأفضل ليكون ملكاً عليهم ولا يكون من بعض قبائلهم حتى لا يطيعه قوم ويخرج عليه قوم آخر.. فاختاروا حُجرا آكل المرار لأنه كان ذا وجاهة.. فقدم حجر إلى نجد ونزل ببطن عاقل ثم توجه ببني بكر بن وائل إلى ملوك الحيرة اللخميين وهم المناذرة فغزاهم بهم وغلبهم على أمرهم وردهم عما كانوا امتلكوه فى نجد.. ثم غزا ملوك الشام وهم الغساسنة وانتصر عليهم فأحبته بكر وأطاعته وظل فيهم حتى آخر حياته.

ثم توالت أسرة حُجر من أبنائه على هذا الملْك منهم عمرو والحارث ثم أبو امرئ القيس: حُجر..

أبوه إذن صاحب الملك المتوارث فى كندة.. ومن ثم فقد نشأ امرؤ القيس كما ينشأ أبناء الملوك.. فى رغدة العيش ونعومة الحال.. ونال نصيبه الأكبر من اللهو والمجون والفتون. والتف حوله الأحداث والمجَّان بين الصيد والطرد والغزل والشراب.

وبرغم تلك الحياة الناعمة اللاهية.. تميزت البيئة الاجتماعية التى نشأ فيها شاعرنا بالشهامة والفروسية والشجاعة والمروءة وعلو الهمة وكرم الخلق وعزة النفس.. وانعكس ذلك كله فى أشعاره.

وقد تفتحت عيناه على طبيعة نجد التى تتميز بروابيها.. وطبيعة اليمامة التى تتميز بأوديتها.. وطبيعة البحرين وأحسائها.. فنهل من جمال كل طبيعة الكثير الذى أكسب داخله جمالاً وعذوبة.

إنه ينتقل هنا وهناك كما شاء له التنقل.. فهو مُلْك أجداده وأعمامه وأبيه.. وفى خلال ذلك يسمع الشعر فى تراجيع الحداة.. وأغاني الرعاة وسمر السمار وأحاديث الرواة.. ويلاحظ إقبال الناس على هذا الفن الجميل.. فأخذ يجرب سليقته الشعرية ويصحب الشعراء ويصحبونه وينشدهم أشعاره وينشدونه.

وها هو – كما يفعل الشباب – يترنح فى سكره العاطفة.. فيحب هذه ويشيب بتلك غير عابئ بأي قيم أخلاقية.

ومن ذلك ما حدث يوم جُلْجُل.. فقد كان امرؤ القيس عاشقاً لابنة عم له يقال لها (عُنَيْزة).. وقد طلبها زمانا فلم يصل إليها.. حتى كان يوم الغدير.. وهو يوم جُلجل.. وذلك أن رجال الحي قد خرجوا وتخلف النساء والخدم.. فلما رأي ذلك امرؤ القيس تخلف وهو يضمر فى نفسه شيئاً.

ثم مر به النساء وفيهن عنيزة.. ووردْنَ الغدير.. فقلن: لا أحد يرانا لو اغتسلنا فى هذا الغدير وذهب عنا بعض الكلال. فنزلن الغدير ونحَّيْن العبيد. ثم تجرَّدْن ووقعن فيه.

وأتى امرؤ القيس وهن غوافل.. فأخذ ثيابهن وجمعها.. وقعد عليها وقال: والله لا أعطى جارية منكن ثوبها ولو ظلت فى الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها.. فأبيْن عليه ذلك حتى تعالي النهار.. وخشين أن يتأخرن عن منازلهن.. فخرجن جميعا متجردات.. وكلما خرجت واحدة أعطاها ثوبها بعد أن يتأملها مقبلة مدبرة..أما عنيزة فأبت وناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها.. فأبي.. فخرجت.. فنظر إليها مقبلة ومدبرة.

وأقبلن عليه وقلن: إنك قد عذبتنا وحبستنا وأجعتنا.. فقال: أنحر لكم ناقتي تأكلن منها.. فنحرها وكشطها وجمع الخدم حطباً كثيراً وأشعلن ناراً عظيمة فجعل يقطع لهن من أطايبها ويلقيه على الجمر.

ويأكلن ويأكل معهن.. ويشرب من فضلة خمر كانت معه ويغنيهن ويلقي إلى العبيد من الكباب.. فلما أردن الرحيل تقاسمن متاع راحلته وزاده.. وبقيت عنيزة.. فقال لها: يا ابنة الكرام لابد أن تحمليني معك على راحلتك فإني لا أطيق المشي.. فحملته على طرف بعيرها.. فكان يجنح إليها فيدخل رأسه فى خدرها ويقبلها فإذا امتنعت مال وحَدَجَها.. فتقول: عقرتَ بعيري فانزل.. **وقد صور ذلك كله امرئ القيس حين قال:**

ويوم عقرتُ للعذارى مطيتى ... فيا عجبا من رجْلِها المتحملِ

يظل العذارى يرتمن بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتَّلِ

ويوم دخلت الخدرَ خدر عنيزة ... فقالت: لك الويلات إنك مرجلِ

تقول وقد مال الغبيطُ بنا معا ... عقرتَ بعيرى يا امرأ القيس فانزلِ

فقلت لها: سيرى وأرْخى زمامه ... ولا تبعدينا من جناك المعلَّلِ

فمثلك حُبلى قد طرفت ومرضعا ... فألهيتُها عن ذى تمائم مُغْيلِ

ويصل ذلك إلى أبيه فيعنفه لفحشه فى التشبيب واستهتاره ولهوه.. فيفكر فى عقابه.

وانتهى الأب إلى إرسال ولده مع رعاة الإبل ليكون هذا إذلالاً له حتى ينصرف عن تلك الحياة اللاهية الضالة لكن امرأ القيس لم يأبه بذلك بل خرج بالإبل يرعاها طوال يومه.. ثم يأويها مع الليل ويُنيخُها ويقول:

- حبذا طويلةُ الرقاب.. غزيرة الحلاب.. كريمة الصحاب.. حبذا شداد الأوراك.. عراض الأحناك.. طوال السماك.

ثم ها هو يسرع إلى أترابه الماجنين يقضى ليلة سمراً ولهواً..

ويتعجب الأب من ولده.. ويقرر أن يعاقبه عقاباً أشد.. فأمره بالخروج مع الخيل.. فخرج بها إلى المرعي حتى إذا أقبل الليل رجع بها.. وسمعه أبوه يقول لها:

- حبذا الجياد.. إناثها نساء.. وذكورها ظباء.. نعم الصحاب راجلاً وراكباً.. تدرك طالبا.. وتفوت هاربا.

فساء ذلك أباه فجعله يرعي الأغنام.. فسمعه حين أواها يقول:

- أخزاها الله. لا تهتدي طريقاً. ولا تعرف صديقاً. ولا تطيع راعيا. ولا تسمع داعيا.

ثم لاحظ الأب أن ولده بعد أن آوى الأغنام مضى متعباً إلى مضجعه فظن والده أنه قد قدر عليه.. فلما جاء الصباح قال له: اخرج بالشاء.. فمضى امرؤ القيس يقودها حتى بعد عن الحي وأشرف على الوادي ثم أخذ التراب ونثره على وجوهها وهى ترتد عنه إلى الديار وهو خلفها لا يكف عن نثر التراب عليها.. قائلا:

- حجر فى حجر.. حجر لا مدر.. هبهاب لحم وإهاب.. للطير والذئاب.

ويرى حُجر ما يفعله ولده بالأغنام فأسقط فى يده وعلم أنه يستعصى عليه.. فاستدعى أحد خدمه المخلصين يسمى ربيعة وأمره أن يأخذ امرأ القيس إلى خارج الحي ثم يقتله ويأتيه بعينيه.

فانطلق ربيعة به إلى الصحراء.. ولكنه فكر مليا.. فأشفق على امـــرئ القـــيس وأشفق على نفسه أيضاً من أن يعود حُجْر بعد أن يهدأ فيجزع على فقد ولده.

ولهذا ترك ربيعة امرأ القيس فوق رابية يلعب ويرتع ثم رجع إلى حجر ومعـــه عينا جُؤْزُر (ولد البقرة الوحشية).

وحينما أقبل على حجر.. نظر الندامة على وجهه وأسفه لموت ولده فصرخ فى ربيعة.. لكن ربيعة عاجله بقوله: أبيت اللعن يا سيدي لا تجزع فإني لـــم أقتلـــه.. فقال له حجر: علىّ به.. فأسرع ربيعة إلى امرئ القيس حيث تركه ليعود به إلـــى والده فوجده يقول:

لا تُسْــلمَنّى يــا ربيــعُ لهــذه وكنتُ أرانى قبلهــا بــك واثقــا

مخالفــةٌ نــوى أســير بقريــةٍ نوى عربيات يَشمْنَ البوارقــا[1]

فإما ترينى اليوم فى رأس شاهقٍ فقد أغتدى أقــودُ أجــردَ تائقــا

وقد أذعر الوحش الرِّتاع بقفــرةٍ وقد أجتلى بيض الخدودِ الروائقا

نواعمُ تجلو عــن متــون نقيــة عبيراً وريطــا جاســداً وشــقائقا

ويعود امرؤ القيس إلى أبيه لكنه لم يكف عن فجوره وفحشه فى قولــه وفعلــه فطرده أبوه وأبي أن يقيم معه.. فخرج يهيم على وجهــه ويصــاحب الصــعاليك ويخالط الشذاذ إلى أن استقر به المقام فى بلدة (دَمُّون) التى يقول فيها:

كــأنى لــم ألهــو بــدمُّون مــرة ولم أشهد الغاراتِ يوما بعنــدلِ[2]

ولم يتورع امرؤ القيس عن التشبيب بالنساء.. بل غلا فى فجوره حتــى شــبب بنساء والده.. وفى ذلك يقول عن هِرّ إحدى نسوة أبيه:

وهر تصيدُ قلــوب الرجــالِ وأفلتَ منها ابن عمــرو حُجــرْ

رَمَتْني بسَهْمٍ أصَابَ الفُــؤادَ غَــدَاةَ الرّحِيــلِ فَلَــمْ أنْتَصِــرْ

فأسبَلَ دَمعي كَفَضّ الجُمَــانِ أو الــدرّ رقراقِــه المنحــدر

وإذ هي تمشي كمشي النزي ف يَصرَعُهُ بِالكَثِيــبِ البُهُــرْ[3]

فبــتّ أكابــد ليــل التمــا م وَالقَلْبُ من خَشْــيَةٍ مُقْشَــعِرْ

---

(1) يشمن: ينظرن.

(2) الريط: ضرب من الثياب، الجاسد: الثوب المشبع بالزعفران.

(3) النزيف: السكران الذى نزف عقله.

فَلَمّا دَنوْتُ تَسَدّيْتُهَا فثوباً نسيتُ وثوباً أجرّ[1]

ولَمْ يَرَنَا كَالىءٌ كَاشحٌ ولم يفشُ منا لدى البيت سر[2]

وقد رابني قولها يا هنا ة وَيْحَكَ ألْحَقْتَ شَرّاً بِشَرْ

ولأنه ابن ملك لم يكن أحد يجرؤ على إثنائه عن عبثه ومجونه وفحشه فتارة يشبب بفاطمة وهرّ.. وتارة ينتقل إلى هند والرباب.. أي أنه كان أسير لذاته وشهواته وخلاعته ولهوه.. وفى شعره ترجمة لذلك فهو يذكر النساء ومحاسنهن ويقف على ديارهن مصوراً ذلك بعين الجمال والصدق.. والتصوير القريب من الحقيقة.

ومثال ذلك أنه قال فى أم مالك:

قفا نسأل الأطلال فى أم مالك وهل تخبر الأطلال غير التهالكِ؟

ويقول فى أم جُندب:

خليلىّ مرا بى على أم جُندب نقضّ لُبانات الفؤاد المعذبِ

وله قصة طريفة مع أم جندب يذكرها الأصمعي فيقول:

إن امرأ القيس حين هرب من المنذر بن ماء السماء صار إلى جبلىْ طئ: أجا وسلمى.. فأجاروه.. فتزوج بها أم جُندب.. وكان امرؤ القيس مفرَّكا مبغضا – أي لا يحظى عند النساء ويبغضنه – فبينما هو ذات ليلة نائم معها قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت!

---

(1) تسديتها: علوتها.

(2) الكالئ: المراقب – الكاشح: المخالف لي.

فلم يقم امرؤ القيس.. فكررت عليه.. فقام فوجد الفجر لم يطلع بعد.. فقال لها:

ما حملك على ما صنعتِ؟ فسكتت عنه ساعة.. فألح عليها.. فقالت:حملني أنك ثقيل الصدر.. خفيف العَجُز.. سريع الإراقة.. بطئ الإفاقة (وكلها صفات تسئ إلى الرجل) فسكت عنها.

فلما أصبح أتاه علقمة بن عَبْدة التميمي وهو قاعد فى الخيمة وخلفه أم جُندب فتذاكرا الشعر.. فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك.. وقال علقمة: بل أنا أشعر منك.. فقال: نحتكم إلى أم جُندب فقالت أسمع منكما وصفا للخيل:

فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرا بى على أم جُندب نقضّ لُبانات الفؤاد المعذبِ

فإنكما إن تنظرانى ساعة من الدهر ينفعنى لدى أم جندبِ

حتى مر بقوله:

فللساق ألهوبٌ وللسوط درةٌ وللزجر منه وقع أهوجَ مِنْعَبِ

وحينما انتهى امرؤ القيس قال علقمة:

ذهبتُ من الهجران فى كل مذهبِ ولم يك حقا كل هذا التجنُّبِ

حتى انتهى إلى قوله":

فأدركهنَّ ثانيا من عنانهِ يمر كغيث رائح مُتحلّبِ

فقالت أم جندب لزوجها امرئ القيس:

- علقمة أشعر منك.. قال: كيف؟

قالت: لأنك زجرت فرسك وحركته بساقيك.. وضربته بسوطك.. أما علقمة فقد جاء بالصيد وأدرك فرسه ثانيا من عنانه.

فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت.. ولكنك هويته..

فطلقها وتزوجها علقمة بعد ذلك وبهذا لقب: علقمة الفحل.

أما سُلَيمى فقد قال فيها امرؤ القيس:

يا بؤس للقلب بعد اليوم ما آبه ذكرى حبيب ببعض الأرض قد رابه

قالت سُليمى أراك اليوم مكتئبا والرأس بعدى رأيت الشيبت قد عابه

وهى التى قال فيها:

سما لك شوق بعدما كان أقصرا وحلّت سُلَيْمى بطنَ قوٍ فعرعرا

كنانية بانت وفى الصدر ودّها مجاورة غسان والحى يعمرا

ويقول فى رقَاش:

قامت رقاش وأصحابى على عجلِ تبدى لىَ النحرَ واللباتِ والجيدا

ويقول فى هند:

تذكرت هندا وأترابَها فأصبحت أزمعتُ منها صدودا

ويقول فى ماوية:

أماوى هل لى عندكم من مُعرِّس أم الصرْم تختارين بالوصل نيأسٌ

ويقول فى سعاد:

لعمرى لقد بانت بحاجة ذى الهوى سعاد وراعت بالفراق مروعا

ونكتفي هنا بهذه الأمثال التى شبب بها بعشيقاته.

أما منزلة امرئ القيس الشعرية فلا يختلف عليها أحد.. فهو أحد فحول شعراء الجاهلية بلا منازع برغم عمره القصير.. بل إن علماء البصرة يجعلونه من الطبقة الأولي من الشعراء.

وقد قيل للفرزدق من أشعر الناس فقال: ذو القروح (يعنى امرأ القيس).

حيث يقول:

وقاهم جدهم ببَنَيِ أبيهم وبالأشقين ما كان العذابُ

ومر لبيد بالكوفة فى بنى نهد فسألوه: من أشعر الناس.. فقال: الملك الضليل (أي امرؤ القيس) قيل ثم من.. قال: ابن العشرين (يريد طَرَفة بن العبد).. قيل ثم من قال: أبو عقيل (يريد نفسه).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد تحدث للعباس بن عبد المطلب عن الشعراء فقال: امرؤ القيس سابقهم.. خسف لهم عين الشعر فافتقرت عن معان عور أصح بصرا.

وهنا يقصد ابن الخطاب أن امرأ القيس من اليمن وأن أهل اليمن ليسوا على فصاحة نزار فجعل لهم معاني عورا.. فكان امرؤ القيس أصح بصرا.. وامرؤ القيس يماني النسب.. نزارى الدار والمنشأ.

وفضله على رضى الله عنه على شعراء الجاهلية..

واعترف له الحطيئة بأنه أشعر العرب.

أما كثّير فقال عن أشعر العرب: امرؤ القيس إذا ركب.. وزهيــر إذا رغــب.. والنابغة إذا رهب.. والأعشي إذا طرب.

ويضيق المقام عن ذكر آراء المؤرخين والشعراء والأدباء فى هذا الشاعر الكبير الذى تذكر معلقته على رأس معلقات الشعراء العرب والتى يقول فيها:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول وحَوْملِ

فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمهاَ لما نسجتْها من جَنُوب وشمالِ

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولون لا تهلكْ أسى وتجمّل

وإنَّ شفائي عبرةٌ مهراقةٌ فهلْ عند رَسمٍ دارِسٍ من مُعوَّلِ

وبعد أن يتحدث عن يوم جلجل يقول:

أفاطِمُ مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنتِ قد أزمعت صرمي فأجملي

وَإنْ كنتِ قد ساءتكِ مني خَليقَةٌ فسُلّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ

أغَرّكِ مني أنّ حُبّكِ قاتِلي وأنكِ مهما تأمري القلب يفعل

ومَا ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لتَضْرِبي بسَهمَيك في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ

* * * * *

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أثناء الوشاح المفصَّلِ

فجِئْتُ وقد نَضَتْ لنَوْمٍ ثيابَها لدى الستّرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

فقالت يمين الله ما لكَ حيلةٌ وما إن أرى عنك الغواية َ تنجلي

خَرَجْتُ بها أمشي تَجُرّ وَراءَنا على أثَرَيْنا ذَيلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[١]

فلما أجزْنا ساحة الحيِّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ[٢]

إذا اِلتَفَتَت نَحوي تَضَوَّعَ ريحُها نَسيمَ الصَبا جاءَت بِرَيّا القَرَنفُلِ

إذا قلت هيا نوِّلينى تمايلتْ علىَّ هضيَم الكشْح ريَّا المخلخلِ[٣]

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائبها مصقولةٌ كالسجنجلِ[٤]

ثم بعد أن يصف كل شئ فيها ينتقل إلى غرض آخر ويصف حصانه:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً كجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حالِ مَتنِهِ كَما زَلَّتِ الصَفواءُ بِالمُتَنَزَّلِ[٥]

مسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الونى أثرنَ غباراً بالكديد المركلِ[٦]

لهُ أيطلا ظبيٍ وساقا نعامة وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تنفلِ[٧]

إلى آخر هذه المعلقة التى تبلغ سبعة وسبعين بيتاً.

---

(١) المرط المرحل: إزار خز موشي.

(٢) الحقف: الرمل، العقنقل: المنعقد المتداخل.

(٣) هضيم: ضامر, ريا: أي ممتلئة لحما وشحما فى موضع الخلخال.

(٤) الترائب: موضع القلائد من الصدر، السجنجل: المرآة بالرومية.

(٥) كميت يزل اللبد: أي أنه أملس المتن سهله، والصفواء: الصخرة اللساه.

(٦) الكديد: ما غلظ من الأرض، المركل ركلته الخيل بحوافرها فثار الغبار.

(٧) شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي، وساقيه بساقي النعامة، وارخاء الذئب والتقريب فى الجرى مثل ولد التعلب (تنفل).

ويذكر المؤرخون أن حُجراً أبا امرئ القيس كان قد بغى على بني أسد وغطفان وأذاقهم الظلم والعذاب والهوان.. فاجتمعوا على قتله.. واغتالوه على حين غرة .. وها هو فى احتضاره يوصي بسلاحه ومتاعه لمن لا يجزع عليه من أبنائه.. فأتي النذير فجزعوا كلهم وبكوا.. إلا امرأ القيس.. فقد جاءه النذير بدمّون وهو على شراب ولعب مع نديم له..فقال له: قُتل حُجر.. فلم يلتفت إليه وأمسك نديمه عن اللعب فقال له امرؤ القيس: أكمل لعبك.. حتى إذا فرغا.. قال: ما كنت لأفسد عليك لعبك.. ثم سأل النذير عن أمر أبيه فقص عليه ودفع له بالوصية.. فقال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا.. لا صحو اليوم ولا سكر غدا.. اليوم خمر.. وغدا أمر.

خليلي ما فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غد إذ ذاك بالكأس يشربُ

ثم شرب سبعا حتى لعبت الخمر بلبه.. ولما أفاق.. آلى على نفسه ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بطيب ولا يلهو ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه.

وهنا تبدأ مرحلة أخرى من حياته يودع فيها الخلاعة واللهو.. فقد حلت عليه الهموم وهو فى غضارة الشباب.

عليه إذن أن يسترد ملك أبيه.

فأخذ يطوف على القبائل.. ليحقق مرامه.. فلما بلغ ذلك بني أسد.. جمعوا له وفدا من رجالاتهم وقالوا له:

إما أن تختار من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فتقتله.. وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأُزر ونعقد الخُمر فوق الرايات (أي نعلن الحرب).

وبعد أخذ ورد انصرف امرؤ القيس عنهم إلى بكر وتغلب وسألهم النصر على بني أسد فسيروا معه جيشاً.. وبدأ القتال وسقط من الفريقين قتلي وجرحي.. وانفضت بكر وتغلب عنه.

ثم سار إلى اليمن فأبوا أن ينصروه.. ثم توسل إلى ملك حميري يقال له قرمل بن الحميم فأنفذ له جيشا وسار به إلى بني أسد..

وينكر عليه عبيد بن الأبرص ما يفعله فى عدة قصائد منها:

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحيْنا

أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا وميْنا

هلا على حُجر بن أم قطامِ تبكى لا علينا

ويظل امرئ القيس بقية حياته متنقلا هنا وهناك ليأخذ ثأر أبيه.. حتى سار إلى قيصر مع صديق له يقال له الحارث بن أبى شمر وصديقين آخرين **وفى هذا يقول:**

بكى صاحبى لما رأى الدرب دوننا وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

ويصل امرؤ القيس إلى قيصر الذى أحسن لقاءه وأكرم ضيافته وضم إليه جيشاً كبيرا.

وكان امرؤ القيس قد دخل مع قيصر الحمام فإذا قيصر أقلف (أي لم يختن) فقال:

إنى حلفت يمينا غير كاذبة أنك أقلف إلا ما جنى القمرُ

إذا طعنتَ به مالت عمامتُه كما تجمَّع تحت الفلكة الوبرُ

ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته لوسامته.. فكانت تأتيه ويأتيها.. ويصل ذلك بني أسد فأرسلوا الطماح بن قيس الأسري ووشي به لدي قيصر وقال: إن امرأ القيس غوى فاجر.. وأنه لما فصل الجيش من عندك ذكر أنه يراسل ابنتك وهو قائل فى ذلك أشعارا يشهر بها فى العرب فيفضحها ويفضحك..

فأثر ذلك القول فى نفس قيصر وفكر كيف يتخلص من امرئ القيس.. ثم أرسل إليه.. فأدركه الرسول دون أنقرة بيوم.

وهنا يزعم المؤرخون والرواة أن قيصر بعث مع الرسول حلة من الذهب مسمومة وكتب يقول: إني أرسلت إليك حلتي التى كنت ألبسها تكرمة لك فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة واكتب إلىّ بخبرك من منزل إلى منزل.

فلما لبسها امرؤ القيس أسرع السم إلى جسده وسقط جلده ولذا سمى ذا القروح وفى ذلك يقول بعد أن علم بخبر الطماح ووشايته:

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا

فبدلت قرما داميا بعد صحةٍ فيالك من نعمى تحولن أبؤسا

فلو أنها نفسى تموت جميعةً ولكنها نفسى تساقط أنفسا

ويذكر آخرون أن هذه القصة ملفقة وأن امرأ القيس مات بالجدري فى عام ٥٦٥م بأنقرة وقال حين حضرته الوفاة:

وطعنة مسْحنفرة

وجفنة مثعنجرة

تبقى غدا بأنقرة

(مسحتفرة: واسعة – مثعنجرة: سائلة منسكبة)

ولما علم قيصر بوفاته أمر أن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان تمثال امرئ القيس هناك إلى أيام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم.

وكما يقال لامرئ القيس (ذو القروح) يقال له أيضا: الملك الضليل.

ويكنى: أبا الحارث.. وأبا وهب.

وهكذا كانت حياة امرئ القيس مرحلتين: الأولى قبل مقتل أبيه الملك والأخرى بعد مقتله.

وهو فى الأولي شاعر لهو ومجون وتشبيب وفجور.. ومع ذلك فهو شاعر فصيح ممزوج بنعيم الملك وترف الغنى.

أما أشعاره فى المرحلة الأخرى فهي تترجم سيرته للأخذ بثأر أبيه.. واتضح فيها صعلكته وتشريده وتنقله بين القبائل وسبابهم فى حال رفضهم مناصرته.. ومدحهم فى حالة مناصرته.

ويبدو أن شعوره بأنه ينتمي إلى طبقة الملوك أو الأمراء.. قد انعكس فى أشعاره بصورة واضحة.. فلم يتورع أن يشبب بالنساء فى فحش دون أن يحاسبه أحد.. وكان فخره بنفسه وملك أبيه مقدما فى أشعاره..

من أشعاره التى بصرح فيها بلذاته المحرمة قوله:

سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها سموَّ حباب الماء حالاً على حالِ

فقالت: سباك الله إنك فاضحى ألست ترى السُّمار والناس أحوالىِ

فقلت: يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

حلفت لها بالله حلفةَ فاجرٍ لناموا وما إن من حديث ولا صالى

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرتُ بغصن ذى شماريخ ميالِ

وصرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامنا ورضْتُ فذلَّتْ صعبةً أى إذلالِ

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلُها عليه القتامُ سيئَ الظن والبالِ

ويجمع المؤرخون والرواة على ريادة وإمارة امرئ القيس للشعر.. فهذا ابن الكلبي يقول: أول من بكي فى الديار امرؤ القيس يقوله:

يا صاحبىَّ قفا النواعجَ ساعة نبكى الديار كما بكى ابن حمام

وابن حمام هذا أحد جدوده.

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب وتبعته الشـــعراء.. من رقة النسيب.. وقرب المأخذ.. ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالى

وقوله:

كأن عيونَ الوحش حول قبابِنا وأرحُلِنا الجزْعُ الذى لم يُثقِّبِ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

وقد طوَّفتُ فى الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإيابِ

ويروى أن أشراف الناس والشعراء قد اجتمعوا عند عبد الملـــك بـــن مـــروان فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فاجتمعوا على بيت امرئ القيس:

وما ذَرَفَتْ عيناك إلا لتضربى بسهميْك فى أعشار قلب مقتَّلِ

ومن أشعاره أيضاً:

والله أنجح ما طلبتَ به والبرُّ خير حقيبةِ الرحْلِ

ومنه أيضا:

من آل ليلى وأين ليلى وخير ما رمتُ ما يُنالُ

وأخيراً..

كان امرؤ القيس أول أمير للشعر القديم.. شهد بشاعريته المؤرخون والـــرواة.. وأجمعوا على إمارته.. وبرغم أنه عاش حياة قصيرة فإنه استطاع بعطائه الشعري أن يخلد ذكره على مدى القرون حتى يصل إلينا.. لنشهد نحن أيضـــا بشـــاعريته الفذة التى لن تتوقف أبداً..

عمرو بن كلثوم

سيد بنى تغلب

عن هذا الشاعر يتحدث الأصبهاني فى {الأغاني} فيقول:

هو عمرو بن كلثوم بن مالك. بن عتاب بن سعد.. وينتهي نسبه إلى معد بن عدنان.

وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب وأمها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير..

ويروى أن مهلهلاً حين تزوج هندا بنت بعج ولدت ليلى فقال مهلهل لامرأته.. اقتليها.. فأمرت خادما لها أن تغيبها عنه.. فلما نام هتف به هاتف يقول:

كم من فتى يؤمِّلْ وسيد شمردلْ[1]
وعدة لا تُجهلْ من بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ المهلهل فصاح: يا هند أين ابنتي؟.. قالت: قتلتها.. قال: كلا وإله ربيعة – فكان أول من حلف بها – فاصدقيني.. فأخبرته.. فقال: أحسني غذاءها.

فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتّاب.. فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنه أتاني آت فى المنام فقال:

يا لك ليلى من ولدْ يقدم إقدام الأسدْ
من جُشم فيه العدد أقول قيلاً لا فَنَدْ

فولدت غلاما فسمته عمْرا.. فلما أتت عليه سنة قالت أتاني ذلك الآتى فى الليل أعرفه فأشار إلى الصبي وقال:

إنى زعم لك أم عمْرو بماجد الجدِّ كريم النحْرِ[2]
أشجع من ذى لِبَدهزبْر وقَّاص أقران شديد الأسرِ
يسودهم فى خمسة وعشر

---

(1) شمردل: القوى الفتى الحسن الخلق.

(2) كريم النحر: كريم الأصل.

فكان كما قال.. ساد قومه وهو ابن خمسة عشر.. ومات وله مائة وخمسون سنة.

كان إذن أميرا على قومه منذ حداثة سنه.. مصدقا لقوله:

إذا بلغ الفطام لنا صبى تخر له الجبابر ساجدينا

وقد نشأ نشأة زهو وتفاخر وكبرياء..

وحدث أن عقد مؤتمر للصلح بين تغلب وبكر فى بلاط عمرو بن هند وكانت الحرب بين تغلب وبكر قد دامت نحو أربعين سنة.. ثم احتكموا إلى عمرو بن هند.. فقضي بأن يأتي سبعون رجلاً من البكريين بمثابة وثائق للحق عنده.. فقبل البكريون ذلك.. وفى يوم التقاضي انتدبت تغلب للدفاع عنها عمرو بن كلثوم أميرها وسيدها.. على حين انتدبت بكر أحد أشرافها وهو النعمان بن هرم الذى طرده عمرو بن هند من حضرته.. فقام عمرو بم كلثوم فأنشد شعراً تفاخر فيه بنفسه وقومه ثم وقف الحارث بن حلزة فرد عليه واستمال الملك بدهائه فحكم للبكريين.

وكانت تغلب منيعة الجانب بالرغم من ذلك.. حتى قيل: لو أبطأ الإسلام لأكلت تغلب الناس.

وقد أثار حفيظة عمرو بن هند.. كبرياء عمرو بن كلثوم فأخذ يفكر فى إذلاله.. فقال الملك يوما لبعض ندمائه: هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟

فقالوا: نعم.. عمرو بن كلثوم.. قال: ولم ذلك؟

قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة.. وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب.. وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه.

فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يطلب منه أن يزوره ويسأله أن يصحب أمه.

فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب.. وأقبلت أمه ليلى بنت مهلهل فى صاحبات من تغلب.. وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات.. وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا.. ليستقبلوا وجوه تغلب.

ويدخل عمرو بن كلثوم يقود وفده إلى رواق الملك.. ودخلت أمه ليلى على هند أم الملك فى قبة بجانب الرواق.. وهند هذه عمة امرئ القيس الشاعر.. وليلى بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس.

وأمر الملك أمه أن تنحى الخدم إذا دعا بالطعام.. وتستخدم ليلى فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها فأكلوا..

أما هند فقد جلست فى صدر المائدة وأم عمرو بن كلثوم فى جانب من المائدة.. فقالت هند: يا ليلى ناوليني ذلك الطبق.

فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها..

فأعادت هند عليها وألحت.. فصاحت ليلى: واذلاه! يا لتغلب!.. فسمعها ابنها فثار الدم فى وجهه.. ونظر إلى عمرو بن هند.. فعرف الشر فى وجهه.. وقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق فى الرواق ليس هناك سيف غيره.. فضرب به رأس الملك وقتله.. ونادى بني تغلب فانتبه جميع من فى الرواق.. وساقوا رواحلهم.. وساروا عائدين إلى الجزيرة.. وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

بأى مشيئة عمرو بن هندٍ تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا وأوعدنا رويداً متى كنا لأمك مقتوينا

فإن قناتنا يا عمرو أعيتْ على الأعداءِ قبلك أن تلينا

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا

ورثتُ مهلهلاً والخير منه زهير نعم ذخر الداخرينا

وعتابا وكلثوما جميعا بهم نلنا تراث الأكرمينا

فنحن الحاكمون إذا أُطعنا ونحن العازمون إذا عُصينا

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

ونحن الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا

وقد علم القبائل من معدِ إذا قُببٌ بأبطحها بُنينا

بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

وأنا التاركون إذا سخطنا وأنا الآخذون إذا رضينا

وأنا العاصمون إذا أطعنا وأنا العازمون إذا عصينا

ونشربُ إن وردنا الماء صفواً ويشربُ غيرُنا كدرا وطينا

إذا ما المَلْكُ سام الناس خسفا أبينا أن نقرّ الذل فينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا صبى تخر له الجبابر ساجدينا

ولكثرة رواية هذه المعلقة التى تتميز بالقوة والبساطة قال بعض الشعراء:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولُهم يا للرجال لفخر غير مسْؤومِ

هكذا كان تأثير شعر عمرو بن كلثوم حتى إن الرواة وضعوها بين معلقات العرب التى ينشدونها فى الأسواق القديمة.

وكان عمرو بن كلثوم يفخر بنفسه وبقومه.. ويفخر بانتصاراته فى المعارك ويفخر بالعز والباذخ الذى يعيش فيه وفى ذلك يقول:

إن لله علينا نِعَماً ولأيدينا على الناس نِعَمْ

فلنا الفضل عليهم بالذى صنع الله فمن شاء رغَمْ

دوننا فى الناس مسعى واسعٌ لا يدانينا وفى الناس كرمْ

ففضلناهم بعز باذخ ثابت الأصيل عزيز المدّعَمْ

ويفاخر بأنسابه الكريمة ومجد خاله وعمه وأبيه ليجمع لنفسه شرف الأصل من كل جانب بما يستحقه من الإمارة والسيادة فيقول:

خالى بذى بقَرٍ حمى أصحابهَ وشرى بحسن حديثه أن يُقتلاَ

ذاك الثويْر فما أحب بفضلهِ عند التفاضل فضل قوم أو فضلاَ

عميِّ الذى طلب العُداة فنالها بَكْراً فجلَّلها الجياد بكنهلاَ[1]

وأبى الذى حَمل المئين وناطق ال معروف إذ عىَّ الخطيب المِفْصلاَ

وحينما بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده.. دعا كاتبا من العرب وأملي عليه قوله:

ألا أبلغ النعمان عنى رسالةً فمدحُك حولىٌّ وذمك قارحُ

متى تلقنى فى تغلب ابنة وائلٍ وأشياعها ترقى إليك المسالح[2]

---

(1) الكنهلا: موقعة حرب قديمة.

(2) الحولي: ما أتي عليه الحول، القارح: الدابة التي شق بها نابها – المسالح: القوم ذوو السلاح.

وقال فى النعمان أيضا يهجوه:

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زلفة وألأمنا خالاً وأعجزنا أباَ

وأجدرنا أن ينفخ الكيرَ حالُه يصوغ القروط والشنوف بيثرباَ

ويعيش عمرو بن كلثوم مائة وخمسين سنة يسود قومه ويكافح عنهم.. ويغير على أعدائه.. ويأبي الضيم والهزيمة..

ويروى الأغاني عنه حين حضرته الوفاة جمع بنيه وقال:

- يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحدٌ من أبائي.. ولابد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت.. وأني والله ما عيرت أحداً بشئ إلا عُيرت بمثله.. إذا كان حقا فحقا.. وإن كان باطلاً فباطلا.. وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم.. وامنعوا من ضيم الغريب.. فرب رجل خير من ألف.. وردِّ خير من خُلْف وإذا حُدثتم فعُوا.. وإذا حَدثتم فأوجزوا.. فإن مع الإكثار تكون الإهذار.. وأشجع القوم العطوف بعد الكر.. وأكرم المنايا القتل.. ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب.. ولا من إذا عوتب لم يُعتب.. ومن الناس من لا يرجى خيره.. ولا يخاف شره.

ويقضى عمرو بن كلثوم تاركا تاريخاً مشرفاً فى الشعر والإمارة والمعارك والانتصارات.. ومعلقة تباهي بها العرب فى الكرامة والأصالة والقوة والمناعة.

عروة بن الورد

زعيم الصّعاليك

يروى عن عبد الملك أنه قال: ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني إلا عــروة بن الورد لقوله:

إنى امرؤ عافيِ إنائيِ شركةً وأنت امرؤ عافى إنائك واحدُ

أقسِّم جسمى فى جسومٍ كثيرةٍ وأحسو قراح الماء والماء باردُ

أتهزأ منى أن سمنتَ وأن ترى بجسمى مسّ الحق والحق جاهدُ

ويسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الحطيئة الشاعر: كيف كنتم فى حربكم؟

فقال: كنا ألف حازم.

قال: كيف؟.

قال: كان فينا قيس ن زهيْر وكان حازما وكنا لا نعصــيه.. وكنــا نقــدم إقــدام عنترة.. ونأتم بشعر عروة بن الورد.. وننقاد لأمر الربيع بن زياد.

إنه زعيم الصعاليك وأميرهم وقائدهم عروة بن الورد بن زيد.. ولقب بعــروة الصعاليك لأنه كان يجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم ولم يكــن لهــم معاش ولا مغذى.

وعن معاوية أنه قال: لو كان لعروة ولد لأحببت أن أتزوج إليهم.. لهذا كانــت مكانته عالية فى زمانه.. وفى الأزمنة التالية عليه.

وقد أحاطت بعروة منذ صغره هموم كثيرة منها أن أمه كانت من قبيلــة أقــل شرفاً ومكانة من قبيلة أبيه.. وهى قبيلة نهد بينما أبوه من قبيلــة عــبس الذائعــة الصيت.

من هنا كان عروة ساخطا يهجو أخواله هجاء مرا.. وكان أبوه يسئ معاملتــه وهو صغير.. ويؤثر أخاه الأكبر عليه.

وقد جعلته هذه الأحوال متمرداً على أوضاع مجتمعه – كما يقرر ذلك د. يوسف خليف فى كتابه المهم عن الصعاليك – فهو يشعر بالظلم والمهانة.. وتنتهي هذه الحالة لديه إلى زعامة جماعة من الصعاليك صاحبته فى الهجوم على الأغنياء خاصة البخلاء منهم يسلبونهم وينهبونهم ويوزعون ما يغنمونه بينهم بالتساوي ويشركون معهم الفقراء الضعاف والمرضي العاجزين عن الخروج معهم.. فى محاولة ثورية لتحقيق صورة من العدالة الاجتماعية.. والتوازن الاقتصادي داخل المجتمع.. ومن ثم أقبل الصعاليك عليه يؤمِّرونه عليهم ويلقبونه (أبا الصعاليك).

ولم يكن تمرد عروة على موازين المجتمع المختلة فحسب.. لكنه تمرد أيضاً على نظام القصيدة الجاهلية.

فقد اعتاد العرب على القصائد الطويلة متعددة الأغراض.. لكن عروة فى شعره عكس حالة التمرد وإيقاع الغزو السريع.. فكانت قصائده قصيرة تحكى غزوته.. وتمرده.. وحالة رفضه التى يعيشها.. كما أن شعره يمتاز بسهولة اللفظ ووضوح المعنى إذا قسناه بشعراء عصره.. وهذا أيضا يمثل انعكاساً لإحساسه بأنه يقوم فى حركة الصعلكة بدور الداعية المذهبي.. أو الزعيم الشعبي الذى يحرص على استمالة الجماهير إليه وإقناعهم بدعوته.

وعروة بن الورد بهذه الصورة القيادية.. يمثل شخصية فريدة قائمة بذاتها بين شعراء الجاهلية.. كما عرف بأنه إذا غزاً فأصاب.. ربما آثر الآخرين على نفسه فى الغنيمة.. وأيضا عرف عنه بأنه زعيم وقائد أريب قادر على التأثير فى أتباعه.. مخطط لهم بذكاء وحنكة.. فى السلم والحرب معا..

وديوان عروة شهادة تاريخية ذاتية على حياته وحياة الصعاليك من حوله وكان يسمع إلى لوم امرأته سلمى التى اجتهدت فى إثنائه عن هدفه النبيل وفى هذا يقول:

أقلّى علىّ اللومَ يا ابنة منذرِ ونامى.. فإن لم تشتهى النوم فاسهرىِ

ذرينى أطوِّف فى البلاد لعلنى أخليك أو أغنيك عن سوء محضرِ

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكنْ جزوعاً وهل عن ذاك من مُتأخرِ

تقول: لك الويلاتُ هل أنت تارك ضبوءا برَجْلِ تارة وبمنسرِ

إنه هنا يرفض لوم زوجته التى لا تدرك رسالته..وتقول له: لك الويل لأنك تتركني لتغير مرة راجلاً ومرة بالجواد..

ثم يرسم سياسة الصعلوك الخامل الذى لا يسعى لالتماس المال:

لحى الله صعلوكا إذا جنَّ ليْلُه مضى فى المشاش آلفا كل مجزرِ

يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسَّرِ

قليل التماس المال إلا لنفسه إذا هو أضحى كالعريش المحوَّرِ

ينام عشاء ثم يصبح قاعداً يحتُّ الحصى عن جنبه المتعفرِ

ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنورِ

فذلك إن يلق المنيةَ يلقها حميداً وإن يستغن يوما فأجدرِ

حميداً وإن يستغن يوما فأجدرِ وهكذا فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذى يسعى إلى الحصول على بقايا المجازر ولا يسعى لالتماس المال ويصير مثل العريش المحور أي الخيمة الساقطة المنهارة.

ثم يصف الصعلوك الحقيقي الذى تدل عليه بشرة وجهه كأنها شهاب مضئ.. يقبل على المغامرة والموت بقلب حديدي.

وكأي زعيم يريد استمالة جماهيره.. تقرأ له هذه الأبيات التحريضية التى تدعوهم إلى العمل والمغامرة وهم فى شبابهم قبل أن يشيخوا ويضِعفوا.

أقيموا بنى لُبنى صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزلِ

أليس ورائى أن أدب على العصا فيشمت أعدائى ويسأمنى أهلى

ومرة أخرى يخاطب زوجته:

دعينى أطوف فى البلاد لعلنى أفيد غنىً فيه لذى الحق مَحْمَلُ

أليس عظيماً أن تُلمَّ ملمةٌ وليس علينا فى الحقوق معوَّلُ

فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادثٍ تُلم به الأيامُ فالموتُ أجملُ

وكان عروة يتحلى بخلق الفرسان وبالكرم العربي الذى لا يناظره أي كرم ومن ذلك أن ناساً من بني عبس أصابهم الجدب فى سنة.. فأهلك أموالهم.. وأصابهم بجوع شديد وبؤس فأتوا عروة فجلسوا أمام بيته.. فلما بصروا به صرخوا: يا أبا الصعاليك أغثنا.. فرق لهم وخرج غازيا بهم.. فنهته امرأته عن ذلك فعصاها وخرج فمر بمالك بن حمار الفزاري فسأله: إلى أين؟ فأخبره.. فأمر له بجزور فنحرها. وأكلوا منها.. وأشار مالك عليه أن يرجع فأبي ومضي فى غزوته إلى بلاد بني القيْن.. فأغار عليهم وأصاب إبلا عاد بها على أصحابه وفى ذلك يقول:

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفنى الأعداءَ والنفسُ أخوفُ

تقول سليمى لو أقمت لسرنا ولم تدر أني للمقُام أطوِّفُ

لعل الذى خوفتنا من أمامنا يصادفه فى أهله المتخلف

ويروي عنه أنه أصاب امرأته من بني كنانة وهى (سلمي) وتكنـــي أم وهـــب فأعتقها وتزوجها.. فمكثت عنده بضع عشرة سنة.. وولدت له أولادا وهو لا يشك فى أنها أرغب الناس فيه وهى تقول: لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم..

فحج عروة بها وأتي مكة ثم أتي المدينة.. وأتي قومها.. فقالت سلمي لقومهـــا: إن عروة خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعـــالوا إليـــه وأخبـــروه أنكـــم تستحون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحة الحسب وافتدوني منه.. فإنه لا يرى أن أفارقه.. ولا أختار عليه أحد.. فأتوه.. وسقوه شرابا فلما ثمـــل قـــالوا: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا.. معروفة.. وإن علينـــا ســـبة أن تكـــون سبية.. فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها.

فقال لهم: ذاك لكم ولكن بشرط أن تخيروها.. فإن اختارتني انطلقت بهـــا إلـــى أولادنا.. وأن اختارتكم انطلقتم بها.

فلما خيروها اختارت أهلها.. ثم أقبلت عليه تقول:

يا عروة.. أما إنى أقول فيك وقد فارقتك الحق.. والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغضّ طرفا وأقل فحشا وأجـــود يـــدا وأحمـــى للحقيقة.. فارجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم..

وفى هذا يقول:

سقونى النسْء ثم تكففونى عداةُ الله من كذب وزورِ

وقالوا: لستَ بعد فداءَ سلمى بمغن ما لديك ولا فقيرِ

ألا وأبيك لو كاليوم أمرى ومن لك بالتدبر فى الأمورِ

إذا لملكت عصمةَ أم وهب على ما كان من حسَك الصدورِ

فيا للناس كيف غلبتُ نفسى على شئ ويكرهه ضميرى

ألا ياليتنى عاصيتُ طلقاً وجباراً ومن لى من أميرِ

وهكذا تظل ذكرى أمير الصعاليك خالدة فى صفحات الشعر العربـــي شـــاعراً وفارساً وجوادا وحاميا لقومه.

قيس بن زهير

الشاعر الداهية

يضرب به المثل فى الدهاء فيقال (أدهى من قيس).. وهو قيس بن زهير سيد بني عبس وأميرهم وأحد السادة القواد فى عرب العراق.. وكان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه، فهو معدود من الأمراء والدهاة والشجعان والحكماء والخطباء والشعراء.

فأما كونه أميرا، فقد ورث الإمارة عن أبيه زهير بن جذيمة الذى كان أميرا على بني عبس قبله، وأما شجاعته فتتجلي فى حروبه مع بني فزاره، وله أشعار كثيرة ونثر كثير أيضا، وهو خطيب مفوهة، وشاعر مفطور.

وكان أبوه قد قتل فسار قيس لقتال بني عامر ليأخذ بثأر أبيه من خالد بن جعفر الكلابي العامري.. وطلب من الربيع بن زياد مساعدته فأجابه إلى ذلك.

وقد أقام قيس فى مكة، وكان أهلها يفاخرونه.. فقال لهم: نحّوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم، فقال له عبد الله بن جُدعان: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور، والحرم الآمن فبم نفاخرك؟.

فمل ذلك قيسا وقرر الرحيل عن مكة.. وخرج مع إخوته فأجارهم حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر فأقام قيس وأخوته عندهما..

وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس فينظر إلى خيله ويحسده عليها ويكتم ذلك فى نفسه.. وكان لقيس فرس نجيب يسمى (داحس) وكان لحمل بن بدر فرس يسمى (الغبراء).

ويوماً.. تراهن قيس وحمل على فرسيهما وجعلا الرهان مائة بعير للسابق منهما.. ثم قادا الفرسين إلى أول الميدان.

وكان حمل قد أضمر شراً لفرس قيس إذ أمر فتيانه أن يكمنوا فى طريق الفرسين، فإذا كان داحس سابقاً للغبراء يردونه عن الغابة والطريق.

وبدأ السباق.. وسبق داحس الغبراء فخرج الفتيان ولطموا وجهه وردوه عن السباق.. وألقوه فى الماء.. ولم يخرج إلا بعد انتهاء السباق.

أما راكب الغبراء فقد خالف طريق داحس وعاد إلى الطريق وسبق الخيول الأخرى.

وأخبر راكب داحس قيسا بما حدث.. فأحس قيس بالخديعة وانطلق إلى حذيفة وحمل وقال: يا قوم إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شرا من الظلم.. فأعطونا حقنا من الإبل.

فأبت بنو فزاره أن يعطوا قيسا شيئا وادعوا أنهم هم الفائزون..

ثم إن حذيفة لج فى ظلمه فأرسل إلى قيس بعد رحيله يطالبه بالسبق وكان الذى أرسله حذيفة ولده ندبة.

فلما رآه قيس طعنه وقتله.. وعلم حذيفة أن قيسا قتل ولده فأعلن الحرب لتبدأ حرب داحس والغبراء الشهيرة وفى هذا يقول قيس:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقيت لبون بنى زيادِ

ومحبسها على القرشى تُشرى بأدراع وأسياف حدادِ

كما لاقيتُ من حمل بن بدرٍ وأخواه على ذات الأصادِ

هموا فخروا علىّ بغير فخرٍ وردوا دون غايته جوادى

وكان بين الفريقين أيام كثيرة من القتال أشهرها يوم المريقب من أرض الشربة وفيه قتل عنترة ضمضام المري، ويوم الرقم ويوم الهباءة وفيه قتل حذيفة وغيرها.

وكثيرا ما سجل قيس بن زهير أحداث هذه الحرب الطويلة فى قصائده ومن ذلك ما قاله يرثي قتلي يوم الهباءة حين قتل حمل بن بدر.

تعلّم أن خير الناس ميتٌ على جفر الهباءة لا يريمُ

ولولا ظلمه مازلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجومُ

ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيمُ

أظن الحلم دلّ علىّ قومى وقد يستجهل الرجلُ الحليمُ

ومارستُ الرجال ومارسونى فمعوجٌّ علىّ ومستقيمُ

فلا تغنى المظالمُ لن تراه يمتّع بالغنى الرجلُ الظلومُ

وفيه قال قيس الكثير مثل قوله:

شفيتُ النفسَ من حمل بن بدرٍ وسيفى من حُذيفة قد شفانىِ

شُفيت بقتلهم لغليل صدرى ولكنى قطعتُ بهم بنانىِ

ثم قتل مالك بن زهير أخا قيس.. فلما بلغ عبساً ذلك جزعت عليه وأتت بنو جذيمة حذيفة فقالوا له: ردوا علينا مالنا، وأشار سنان بن أبي حارثة على حذيفة ألا يرد أولادها معها بل يرد الإبل بأعيانها فحسب.. فقال حذيفة: أرد الإبل بأعيانها ولا أرد النسل.. فأبت عبس ذلك فقال قيس بن زهير:

يود سنانٌ لو يحارب قومنا وفى الحربِ تفريقُ الجماعة والأزْلُ

فيا بْنَىْ بغيضٍ راجعا السّلم تسلما ولا تُشمتا الأعداءَ يفترق الشملُ

وإن سبيل الحرب وعرٌ مضلَّةٌ وإن سبيل السَّلم آمنةٌ سهلُ

وعلم الربيع بن زياد بمقتل مالك بن زهير فجزع عليه جزعاً شديداً وأرسل إلى قيس عينا يأتيه بالخبر فسمعه يقول:

أينجو بنو بدرٍ بمقتل مالكٍ ويخذلُنا فى النائبات ربيعٌ

وكان زياد قبله يتقى به وكان زياد قبله يتقى به

فقل لربيع يحتذى فعل شيخه وما الناسُ إلا حافظ ومضيعُ

وإلا فمالي فى البلاد إقامةُ وإن سبيل السَّلم آمنةٌ سهلُ

فرجع العين إلى الربيع وأخبره بما سمعه فبكي الربيع على مالك وقال:

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهارِ

يجد النساء حواسراً يندبنه يبكين قبل تــبلّج الأســحارِ

والقصيدة طويلة

ومن أشعار قيس كذلك قوله:

إذا أنت أقررت الظلامة لامرئٍ رماك بأخر شعبها المتفاقمُ

فلا تبد للأعداء إلا خشونةً فما لك منهم إن تمكــن راحــمُ

ولم تنته الحرب بين الفريقين إلا بتدخل الحارث بن عوف وهرم بن سنان وهما اللذان أفرد لهما زهير بن أبي سلمي معلقته الشهيرة:

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلمِ بجومانـــة الـــدراج فـــالمتثلمِ

وقد استطاع زهير أن يروى فى هذه القصيدة أهوال الحــرب وكيــف تــدخل السيدان لإنهائها.. وفى القصيدة حكم كثيرة صارت أمثالاً على مر التاريخ.

وتنتهي الحرب.. ويعود قيس إلى قومه يواصل إمارته عليهم.. ويعمر إلى أن مات فى السنة العاشرة من الهجرة.

ومن مواقفه الطريفة أنه لما قتل حذيفة وحمل ابنا بدر وعدد كبير من فزاره وعبس انحسم الشّر بين الفريقين ودخل بعض أمراء القبائل فى الإصلاح بينهما. فأذن قيس لقومه بالصلح.. وتنسك عنهم لا يريد إمارة ولا سيادة.. ونزل ببني النمر بن قاسط ثم دعاهم يوما فخطبهم فقال:

يا معاشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حريب.. طريد شريد موتور.. فانظروا لي امرأة قد أدبها الغني وأذلها الفقر.

فزوجوه بامرأة منهم.. فال لهم: إنى لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي إنما أنا فخور غيور أَنِف.. ولست أفخر حتى أبتلي.. ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم.

فرضوا أخلاقه وأقام فيهم حتى ولد له..

ثم أراد أن يتحول عنهم فقال: يا معاشر النمر إن لكم حقا علىّ فى مصاهرتي فيكم.. ومقامي بين أظهركم.. وإنى موصيكم بخصال آمركم بها وأنهاكم عن خصال: عليكم بالأناة فإن بها تدرك الحاجة.. وتنال الفرصة.. وتسويد من لا تعابون بتسويده.. والوفاء بالعهود.. فإن به يعيش الناس.. وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة.. وأنهاكم عن الغدر.. فإنه عار الدهر.. حاد عن الرهان، فإن به ثكلت مالكا أخي.. وعن البغي.. فإن به صرع زهير أبي.. وعن السرف فى الدماء.. فإن قتلي أهل الهباءة أورثني العار.

ثم رحل إلى عُمار وتنصر بها وتقشف وعف عن المأكل حتى أكل الحنظل ومازال به حتى مات.

عامر بن الطفيل

سيد بني عامر

كان مشهوراً بالكبرياء والصلف وجفاء الطبع والظلم.. لكن قومه سوَّدوه عليهم– بعد أن شاخ عمه أبو البراء الملقب بملاعب الأسنة – وذلك لشدة بأسه وفروسيته– فظل أميراً عليهم حتى مات.

إنه عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة.. من أشهر فرسان العرب فى الشدة والبأس.. حتى إن ذلك بلغ قيصر الروم فكان إذا قدم عليه أحد من العرب سأله: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟. فإذا ذكر نسباً عظم عنده وأكرمه.

وقدم على قيصر يوما علقمة بن عُلاَلة فانتسب له.. فقال: أنت ابن عم عامر بن الطفيل.. فغضب علقمة وقال: لا تُراني أعرَّف إلا بعامر وغضب وانصرف وهو يضمر له سوءا.

ولم يكن هذا الموقف وحده الذى أغار صدر علقمة على عامر.. فقد سبقته مواقف كثيرة يحكيها الأغاني.. منها.. أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول فبصر به عامر فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح منك فقال علقمة معرضا بعامر: أما والله ما تثب على جاراتها.. وظلا يتنازعان.

حتى قال عامر: والله لفرس أبي أذكر من أبيك ولفحل أبي أعظم ذكراً منك فى نجد.. وأنا والله أكرم منك حسبا.. وأثبت منك نسباً وأطول منك قصبا.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلا ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.

فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنى جبان ولأن تلقي العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك.. وأنت جواد والناس يزعمون أنى بخيل

ولست كذلك.. ولكن أنافرك أني خير منك أثرا.. وأحدّ منك بصِرا.. وأعز منك نفرا وأسرح منك ذكرا..

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك فى العدد. وبصري ناقص وبصرك صحيح.. ولكني أنافرك على أني أنْشرُ منك أُمة وأطول منك قمة.. وأحسن منك لمة.. وأجعد منك جُمة وأبعد منك همة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم وأنا رجل قضيف (نحيف).. وأنت جميل وأنا قبيح.. ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: أما أنا فأنافرك بأني خير منك عَقِبا.. وأطعم منك جدبا..

وكانت أم عامر تسمع كلامهما فخرجت وقالت: يا عامر.. نافره أيكما أولي بالخيرات.

والخبر طويل فى الأغاني يدل على أن عامر بن الطفيل كان لديه كبرياء الأمراء وصلفهم.

وقد اشتهر عامر بحذقه فى ركوب الخيل وكان له فرس يقال له (المزنوق) من أكرم الخيول العربية.. وله أيضا فرس آخر يسمى (دعْلَج).. لكنه مع ذلك عرف بخصال أخرى مذمومة منها عقمه فهو ليس له عقب ولا نسل.. وجفاء طبعه.. وعنجهيته.. وحينما شاخ سيد القوم أبو البراء سودوه عليهم فأبي أن تسوده الوراثة.. لأنه كان يرى فى نفسه وأعماله ما يمكن له السيادة والإمارة.. فليس به حاجة إلى أمجاد قومه.

وكان أعور.. عورت عينه يوم (فيف الريح).. فقد كان بين قومه بني عامر وقبائل اليمن حرب ضروس.. حيث أغارت اليمن على العامريين فى موضع يقال له: فيف الريح.. وضايقوهم حتى تقهقروا.. فإذا بعامر يقبل عليهم فاشتدت عزائم العامريين واندفعوا معه إلى المعركة حتى إن الواحد منهم كان إذا طعن الطعنة ينادي: يا أبا على. (وهى كنية عامر).. ويظل عامر يقودهم حتى فاجأه من ورائه

مُسهر بن يزيد الحارثي ومد رمحه إلى أذن عامر قائلا: عندك يا عامر.. وطعنه فأصاب عينه ففقأها.. فوثب عامر عن فرسه (المزنوق) إلى الأرض ونجا عدْوا على رجليه والدم يسيل من عينه.

وفى هذا يقول عامر بن الطفيل:

لبئس الفتى إن كنتَ أعور عاقراً جباناً فما عذرى لدى كل محضرِ

لعمرى.. وما عمرى علىّ بهيّنٍ لقد شان حرَّ الوجه طعنةُ مُسهرِ

ويقول فى فرسه المزنوق:

وقد علم المزنوقُ أني أكرُّهُ على جمعهم كرَّ المنيح المشهَّرِ

إذا ازورَّ من وقع السلاح زجرتُه وقلت له: ارْبعْ مقبلاً غير مدبرِ

وأنبأته أن الفرار خَزايةٌ على المرء ما لم يُبْلِ عُذراً فيعذَرِ

ألست ترى أرماحَهم فىَّ شُرَّعاً وأنت حصانٌ ماجدُ العرق فاصبرِ

وكان عامر شديد الفخر بمآثره ومآثر قومه.. وكثيراً ما يذكر انتصاراتهم على أعدائهم.. ومن ذلك قوله:

فلو علمت سُليمى عِلْم مثلى غداة الروْع واصلت الكراماَ

وقتّلنا سراتهمُ جهاراً وأشبعنا الضباعَ خصىً عظماَ

وقتلنا حنيفة فى قُراها وأفنى غزوُنا حكما وحاماَ

قتلنا كبشهم فنجوا شلالاً كما نفَّرت بالطردِ النعَّاماَ

وجئنا بالنساءِ مردَّفاتٍ وأذوادٍ فكن لنا طعاماً

وآل الجون قد ساروا إلينا غداةَ الشعب فاصطلموا اصطلاماً

قتلنا منهم مائةً بشيخٍ وصـــفدناهُم عُصَـــبا قيامـــاَ

ويؤكد عامر بن الطفيل أنه كان يأنف من اتخاذ السلطة بالوراثة.. فقد يضـــائل ذلك من شأنه وقدره.. كأنه لا فضيلة له فى اكتسابها.. ويحرص عامر على أنـــه ولي بني قومه بقوة ساعده.. وشدته فى الحروب وفروسيته المشهودة.. وذوده عن حياض القبيلة وفى ذلك يقول:

تقول ابنةُ العمرى ما لك بعدما أراك صحيحاً كالســليم المعــذَّبِ

فقلت لها: همىِّ الذى تعلمينهَ من الثأر فى حيَّىْ زُبَيْدٍ وأرحــبِ

إن اغزُ زبيداً أغز قوما أعزةً مُرَكَّبُهم فى الحـــى خيـــر مركَّـــبِ

وإن اغز حيَّىْ خثْعم فدماهمُ شـــفاءٌ وخيـــر الثـــأر للمتـــأوبِ

فإنى وإن كنتُ ابن فارس عامرٍ وفى السر منها والصريح المهذَبِ

فما سودتنى عامرٌ عن وراثةٍ أبـــى الله أن أســـمو بـــأم ولا أبِ

ولكننى أحمى حماها وأتقى أذاها وأرمي من رماها بمقتـــبِ[1]

ولأنه فارس مغوار وأمير قومه..فإن التغني بفروسيته وانتصاراته قد احتل كثيرا من أشعاره.. وها هو يذكر انتصاره على بني عبس حيث حمـــل عنتـــرة علـــى الفرار مخلفا عبلة وراءه:

من آل عبس قد شفيْتُ حرارتى وغنمت كل غنيمة لم تضْـــهلِ[2]

---

(1) المقنب: جماعة الخيل التى تجتمع للغارة.

(2) شفيت حرارتي: شفيت على، تضهل: تجتمع.

ونجا بعنترة الأغرُّ من الردى يهوى على عجل هــوىَّ الأجــدلِ

وتركت عبلة فى السواءِ لفتيةٍ باتوا على كُتُف الخيول الجــوَّلِ

ويذكر الرواة حادثا وقع له بعد إصابة عينه بالعور مع كسرى أنو شروان فقــد زعموا أنه كان فى الوفد الذى أرسله النعمان إلى كسرى ليريه فضل العرب فتكلم بين يدى كسرى ملك الفرس وأظهر غلظة وتهديدا فقال له كسرى:

- متى تكاهنت يا عامر؟.

فقال: لست كاهنا ولكنى بالرمح طاعنا.

قال كسرى ساخرا: فإن أتاك آت من جهة عينك العوراء فما أنت صانع؟.

قال عامر: ما هيبتي فى قفاي بدون هيبتي فى وجهي.

وهذا يدل على جرأته وكبريائه وخشونة أخلاقه.

وكان عمه أبو البراء قد وفد على النبي محمد (ص).. ولم يسلم ولــم يشــأ أن يترك دينه. لكنه قال للنبي أن يرسل إلى أهل نجد فيدعوهم إلى الإسلام وتعهد أبو البراء أن يجير من يرسله النبي ويرعاه.

فوجه النبي.. المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا فنزلوا فى مكان يقال له (بئــر معونة).. فلما علم بذلك عامر نقض عهد عمه وسار إليهم بجماعة من قيس عيلان لأن قومه أبوا أن يوافقوه على أمره ويعارضوا عهد عمه.. فأحــاط ومــن معــه بالمسلمين ففتكوا بهم إلا اثنين أسر أحدهما وهو عمرو بن أمية.. وترك الآخــر: كعب بن زيد جريحا بين القتلي.

وقد أغضب عمله هذا عمه أبا البراء فانقض عليه بعد عودته وطعنــه طعنــة وقعت فى فخذه جرحته ولم تقتله.

وحينما علم عامر بانتصارات النبي ومبايعة القبائل له وامتداد سلطانه خطر فى باله أن يشاطره السلطان.. فجاءه فى وفد من قومه يصــحبه أربــد أخــو لبيــد

الشاعر.. وقد اتفق وأربد على أن يشغل عامر النبي بالحديث ويعلو أربد بالسيف.. ولكن أربد لم يجرؤ واحتج لعامر حين لامه بأنه كلما همّ بأن يضرب النبي يري عامراً حائلاً بينهما.

وقد طلب عامر من النبي أن يتخذه خليلا فقال له النبي: لا والله حتى تؤمن بالله وحده.. فرضي عامر أن يؤمن على أن يكون له سكان الخيام وللنبي سكان القرى وأن يجعل له نصف ثمار المدينة.. فرفض النبي طلبه فخرج غاضبا وهو يقول: لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا.. ولأربطن بكل نخلة فرساً.

فقال النبي: اللهم اكفني عامرا وأهد بنى عامر.

ويروى أن عامرا وأربد سقطت عليهما صاعقة فقتلت أربدا وأصيب عامر بالطاعون فى عنقه فاحتبس فى بيت امرأة من قبيلة سلول فكان يصيح غيظاً وألما: يا موت ابرز لي. أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية.

وظل كذلك حتى هلك.

ولما مات نصبت عليه بنو عامر أنصابا فى حمى قبره.. لا تدخله ماشية ولا ترعى بجانبه ولا يسلكه راكب ولا ماش.

وكان جبار بن سَلْمى بن عامر غائبا.. فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟.

قالوا: نصبناها حمى على قبر عامر.

قال: ضيقتم على أبي على.. إنه بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى تعطش الإبل.. ولا يضل حتى يضل النجم.. ولا يجبن حتى يجبن الليل.. ولا يقف حتى يقف السيل.

وكان عمرو بن معد يكرب وهو فارس اليمن يقول:

- ما أبالي أي ظعنية لقيت على ماء من أمواه معدّ ما لم يلقني دونها حرّاهـــا أو عبداها.. يعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث.. والعبدان هما عنترة العبسي.. والسُّلَيك بن السُّلكة.

وشعر عامر بن الطفيل ينبئ عن شخصيته فتـــرى فيـــه الكبريـــاء والصـــلف والعنجهية والاعتزاز بالشجاعة والفروسية والفخر بنفسه وبقومه.. وقليلا ما نحس فيه العواطف الرقيقة.. **وفى ذلك تقول:**

لنا فى الروع أبطالٌ كرامٌ إذا ما الخيلُ جدّ بها الصهيلُ

على جُرْد مسومةٍ عتاقٍ توقّص بالشـــباب وبـــالكهولِ

أو يقول:

فمن مبلغ ذبيانَ عنى رسالةً مغلغلةً منى ومـــا تنفـــعُ العـــذَرْ

نشدّ عصات الحربِ حتى نُدِرَّها إذا ما نفوسُ القوم طالعت الثَّغرْ

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا أبابيل تردى بالعشـــى وبـــالبُكَرْ

لقد كان عامر بن الطفيل أميراً فى قومه فارساً فى ميدان الوغي.. شاعراً يعبر عن نفسه بصدق.. فخلدت سيرته وأشعاره.

يزيد بن معاوية

وخلافة الشعر

يحكى عنه الجاحظ فى كتابه {التاج} فيقول:

كان يزيد بن معاوية يتأنق فى هندامه فلا يلبس القميص إلا لبسة واحـــدة إلا أن يكون نادراً معجبا غريبا..

وكان يقتني كلاب الصيد ويلبسها حللاً ثمينة وأطواقاً من ذهب.. ويقيم على كل كلب منها عبدا يتعهده.. ويقتني الجياد من الخيل للصيد والســباق وكـــان يزينهـــا بأفضل السروج.

ذلك هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذى تولي الخلافة بعد وفاة أبيه معاوية سنة ٦٠ للهجرة ومكث حاكماً أربع سنوات.

ويذكر المؤرخون أنه كان شاعراً مجيداً وله قصائد كثيرة جمعها ابـــن خلكـــان لكنها مفقودة.. وتناثرت أشعاره فى مراجع كثيرة منها الأغاني.. وتاريخ الخلفاء.. والعقد الفريد وغيرها..

ولما مات معاوية.. كان يزيد فى دمشق.. فلما أتاه نعى أبيه قال:

جاء البريد بقرطاس يخبُّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعـــا

قلنا له الويلُ ماذا فى صحيفتكم ... قالوا الخليفة أمسى مثبتـــا وجعـــا

فمادت الأرضُ أو كادت تميد بنا ... نرمى العجاج بها ما نأتلى ســـرعا

فما نبالى إذا بلغن أرحلنا ... ما مات منهن بالمومـــاة أو طلعـــا

من لم تزل نفسه توفى على وجلٍ ... توشكْ مقادير تلك النفس أن تقعـــا

أودى بن هند وأودى المجد يتبعه ... كذاك كنـــا جميعـــاً قـــاطنين معـــا

أغرُّ أبلجُ يستسقى الغمامُ به لو قارع الناسَ عن أخلاقهم قرعا

وتولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس.

وقدم يزيد من الشام وعزّاه وجوه القوم ثم صمت واجما. بدأ يزيد رحلته مع الشعر صغيراً فى حياة أبيه.. وكان هو وصديقه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يتداولان الأشعار.

فحفظ يزيد أشعار من قبله من الشعراء.. وكان حريصا على استقبال الشعراء الوافدين فى قصره ليسمع لهم..

وتدور أشعاره حول التمتع بلذة الحياة والغزل والشراب.. فهو يقول:

إذا رمتُ من ليلى على البعد نظرةً تطفّى جوىً بين الحشا والأضالعِ

تقول نساء الحىّ تطمع أن ترى محاسنَ ليلى.. مُتْ بداء المطامعِ

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها.. وما طهرتها بالمدامعِ

وتلتذّ منها بالحديث وقد جرى حديثُ سواها فى خروق المسامعِ

أحبك يا ليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضعِ

وكعادة الأمراء والملوك كان مشغوفا بلياليي الغناء والشراب. فمجالسه تعج بالندماء والمغنين.. يلهو معهم ما شاء له اللهو.. فإذا سمع بمغنية فى الحجاز طلبها.. بل قال عنه الجاحظ: إنه كان لا يمشي إلا سكران ولا يصبح إلا مخموراً.. وكان الأخطل من ندمائه.. وهو الذى يقول:

أقول لصحبِ ضمت الراحُ شملَهم وداعى صبابات الهوى يترنمُ

خذوا بنصيب من نعيم ولذةٍ وشربٍ وإن طال المدى يتصرمُ

ولا تتركوا يوم السرور إلى غدٍ فرب غدٍ يـأتى بمـا لـيس يُعلـمُ

لقد كانت الدنيا تقول لأهلها خـذوا لـذة لـو أنهـا تـتكلمُ

وكان المغنون يتسابقون ليغنوا أشعاره فى مجلسه ومن هـذه الأشـعار التـى اتسمت بقيم الغناء الفنية قوله:

ألا يا صاح للعجبِ دعوتك ثم لـم تُجـبِ

إلى القينات واللذا ت والصهباءِ والطربِ

وباطيةٍ مكللةٍ عليها سـادة العـربِ

ومنهمر التى تبلتْ فؤادك ثـم لـم تتـبِ

وله أشعار فى وصف النساء.. لكن أحداً لم يكن يستطيع الوقوف فى وجهه فهو أمير وخليفة وقائد:

أمن رسم دار بوادى غدرْ لجارية من جوارى مَضـرْ

حد لّجةِ الساق ممكورةٍ سلوس الوشاحِ كمثل القمرْ

تزين النساءَ إذا ما بدتْ ويبهتُ فى وجهها من نظرْ

وفعل يزيد ما يفعله شعراء الغزل واللذة.. فهو يشبب بنسـوة كثيـرات.. ولا يمنعه مانع من ذكر أسمائهن.. ومن ذلك قوله:

طرقتك زينبُ والركابِ منيخةٌ بجنوبِ خبتٍ والنـدى يتصـبَّبُ

بثنيَّة العلمين وهناً بعدما خفق السماك وجاوزته العقربُ

فتحيةٌ وسلامةٌ لخيالها ومع التحية والسلامة مرحـبُ

أنىَّ اهتديتِ ومن هناك وبيننا فلـــجٌ فقلَّـــةُ مـــنعجٍ فالمرقـــبُ

وزعمتِ أهلَك يمنعونك رغبةُ عنى وأهلى بى أضنٌّ وأرغـــبُ

ويروى أنه فى سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خلعوه وخرجوا عليـــه.. فأرسل إليهم جيشا كثيفاً لقتالهم.. ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبيـــر.. وكانـــت وقعة الحرة على باب طيبة.. قتل فيها خلق من الصـــحابة وغيـــرهم.. ونهبـــت المدينة.. وكان سبب خلع أهل المدينة له أنه أسرف فى المعاصي.. أو كمـــا قـــال عبد الله بن حنظلة:

- والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء.. إنـــه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات.. والأخوات ويشـــرب الخمـــر ويـــدع الصلاة.

وحينما مات يزيد كان القتال مستمرا فى مكة فنادي ابن الزبير:

- يا أهل الشام إن طاغيتكم قد هلك.. ودعا إلى بيعة نفسه وتسمى بالخلافـــة أما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد.

ويذكر له محاسن كثيرة منها ما أخرجه الواقدي عن أبي جعفر الباقر قال:

- أول من كسا الكعبة بالدِيباج يزيد بن معاوية.. كما أنه كان فارساً عظيمـــاً شجاعاً.. وشاعراً ممتازاً.

ونسب إليه بعضهم وقائع من البطولة ندر أن نسب مثلها إلى أشهر الأبطال فى الإسلام.. فقد غزا الصائفة حتى بلغ القسطنطينية. وكـــان جنـــده أول مـــن بلـــغ أسوارها فى الإسلام.. كما أنه شق قناة يزيد من بردى بدمشق.

وتبقي له قيمته شاعراً عبر عن تجربته بصدق وتميز وبساطة فكـــان شـــاعراً مجيداً.. ونختتم وقفتنا هذه بهذه الأبيات من شعر يزيد:

آب هذا الهمُّ فاكتنعا وأمرّ النـــومْ فامتنعـــاَ

راعيا للنجم أرّقُه فإذا ما كوكـــبٌ طلعـــاَ

حام حتى إنني لأرى أنه بالغوْر قـــد وقعـــاَ

ولها بالماطرون إذا أكل النملُ الذى جمعـــاَ

تزهة حتى إذا بلغتْ نزلت من جلَّـــق بيعـــاَ

فى قبابٍ وسط دسكرةٍ حولها الزيتونُ قد ينعاَ

الوليد بن يزبد

أمير اللهو والعشق

اختلف عليه المؤرخون.. فمن قائل إنه كان فاسقا زنديقا.. منتهكا لحرمات الله.. شاربا للخمر حتى ذهاب العقل.. ومنهم من برأه من ذلك كله.. وأعطاه حقه في ممارسة حياة الشباب واللهو العشق.. إلى جانب حزمه فى الحكم وإصلاحه في الخلافة.. برغم أنه ولي نحو عام فقط ومات مقتولا.

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.. الخليفة الأموى.. ويروى أن أباه يزيد حينما كان يحتضر لم يمكنه من الخلافة لأنه صبي فعقد لأخيه هشام.. وجعل الوليد ولي العهد بعد هشام.

وبدأ الصراع بين الأخوين يشتد.. وأراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده.. فقال الوليد:

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الْفَضْل والمنّ

رأيتك تبني جاهدا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

أراك على الباقين تجني ضغينة فيا ويحهم إن مت من شر ما تجني

كأني بهم يوما وأكثر قيلهم ألا ليت أنا حين يا ليت لا تغني

وكان هشان يكثر من تنقص الوليد فى مجلسه.. وكان مَسْلَمة بن عبد الملك يعاتب هشاما ويكفه عن ذلك.. فلما مات مسلمة وكان قائدا للجيش رثاه الوليد بقوله:

أتانا بَريدانِ مِن واسِطٍ يَخُبّانِ بِالكُتُبِ المُعجَمَه

أقولُ وَما البُعدُ إلا الرَدى أَمَسلَمَ لا تَبعدَن مَسلَمَه

فَقَد كُنتَ نوراً لَنا في البِلادِ تَضيءُ فَقَد أَصبَحَت مُظلِمَه

كَتَمنا نَعِيَّكَ نَخشى اليَقين فَجَلّى اليَقينُ عَنِ الجُمجُمَــه
وَكَم مِن يَتيمٍ تَلافَيتَه بِأَرضِ العَدُوِّ وَكــم أَيِّمَــه
وَكُنتَ إِذا الحَربُ دَرَّت دَماً نصَبتَ لَها رايَةً مُعلَمَــه

ويستمر الصراع ويضمر الأخوان كل منهما للآخر شرا.. وها هو ذ الوليد يفتخر على هشام بقوله:

أنا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مــدي كــرى واقــدامى
اني لفى الذروة العليا إذا انتسبوا مقابل بــين أخــوالي وأعمــامي
بنى لى المجد بان لم يكن وكلاً علــى منــار مضــيئآت وأعــلام
حللتُ من جوهر الأعياص قد علموا في باذخ مشمخر العز قمقــامِ[1]
صعب المرام يسامي النجم مطلعه يسموالى فرع طود شامخ سامي

فلما بلغ ذلك هشاما قال: والله ما علمت له معد كرا ولا إقداما.. إلا أنه شــرب مرة مع عمه بكّار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه.. فإن كان يعنى ذلــك بكرّه وإقدامه.. فعسي!.

ومن حكاياته أيضا أن بلغه أن العباس بن الوليد وغيره من بنى مروان يعيبونه بالشراب.. فلعنهم وقال: إنهم يعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة مــا تركــوه.. وقال:

ولقد قضيتُ وإن تجلَّل لِمَتى شيبٌ على رغم العــدا لــذَّاتيِ
من كاعباتٍ كالدمى ومناصفٍ ومراكــبٍ للصــيد والنشــواتِ

(1) الأعياص: أبناء أمية بن عبد شمس وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، القمقام: العدد الكبير.

فى فتية تأبى الهوان وجوهُهم شمُّ الأنوفِ جحاجح ســـاداتِ

إن يطلبو بتراتهم يعطوا بها أو يطلبوا لا يُدركوا بتراتِ

وحينما نعى إليه هشام قال: والله لا تلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ثم قال:

طاب يومى ولذَّ شربُ السلافة إذ أتانى نعىٌ من بالرصافهْ

وأتانا البريد ينعى هشاما وأتانـــا بخـــاتم للخلافـــهْ

فاصطبحنا من خمر عانة صرفا ولهونـــا بقينـــة عزافـــهْ

ثم حلف ألا يبرح موضعه حتى يُغنى هذا الشعر ويشرب عليه.. ثم دخل فبويع له بالخلافة.

ثم سمع صياحا فسأل فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال:

إنى سمعت بليلٍ ورا المصلَّى برنَّهْ

إذا بنات هشامٍ ينـــدبن والدهنَّـــهْ

يندبن قرماً جليلاً قد كان يّعضُـــدْهنَّهْ

ويفوز الوليد بالخلافة ويكتب إلى أهل المدينة:

وَقولوا أَتاكُم أَشبَهُ الناسِ سنَّةً بِوالدِهِ فَاِستَبشِروا وَتَوَقَّعــوا

مُحَرَّمَكُم ديوانُكُم وَعَطاؤُكُم بِهِ يَكتُبُ الكُتّــابُ وَالكُتــبُ تُطبِــعُ

ضَمِنتُ لَكم إِن لَم تُصابوا بِمهجَتي أَنَّ سَماءَ الضُرِّ عَــنكُم سَــتُقلِعُ

وكان سبب ذلك أن هشاما لما خرج عليه زيد بن على منع أهل مكــة وأهــل المدينة أعطياتهم سنة.

ومرة بعث الوليد إلى جماعة من أهله بعد أن صار خليفة.. فجاءوه.. فقال لهم: أتدرون لم دعوتكم.. قالوا لا.. فقال:

أشهد الله والملائكة الأب رار والعابدين أهـل الصـلاحِ

أنني أشتهى السماع وشرب ال كأس والعضّ للخـدود المـلاحِ

والنديم الكريم والخادم الفا ره يسـعى علـىّ بالأقـداحِ

ثم قال: قوموا إذا شئمتم.

وقد طلق الوليد امرأته (سعدة) ثم حن إليها.. فأرسل إلى أشعب وقـال : لـك عندى عشرة آلاف درهم إذا بلغت رسالتي إلى سَعدة.. فقال أشعب بلهفة: أحضر العشرة آلاف حتى أنظر إليها.. فأحضرها الوليد.. فوضعها أشعب علـى رأسـه وقال: هات رسالتك.. فقال الوليد: قل لها يقول لك أمير المؤمنين:

أسَعدةَ هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقي

بلى ولعل دهراً أن يؤاتى بموت من حليلك أو طـلاق

فأصبحَ شامتاً وتقرّ عينى ويُجمع شملُنا بعـد افتـراق

فأتى أشعب باب سَعدة فأمرت بفُرش لها وجلست عليه وأذنت له.. فلما دخـل أنشدها الأبيات.. فقالت لخدمها: خذوا الفاسق.

فقال يا سيدتي: إنها عشرة آلاف درهم.. قالت: والله لأقتلنـك أو تبلغـه كمـا بلغني.. قال: وما تهبين لي؟.. قالت: بساطي الذى تحتي.. قـال: قـومي عنـه.. فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ثم قال: هات رسالتك جعلتُ فداك.. قالت قل له:

أتبكى على لبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانعً

فعاد أشعب إلى الوليد وأنشده البيت.. فقال الوليد: أوه قتلتني يا بن الزانية.. ما أنا صانع؟.. فاختر أنت للآن ما أنت صانع بابن الزانية.. إما أن أدليك على رأسك منكسا فى بئر أو أرمي بك من فوق القصر.. أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة.. هذا الذى أنا صانع.. فاختر الآن.

قال أشعب: ما كنتَ تفعل شيئا من هذا.. قال الوليد: ولم..

قال: لم تكن لتعذب عينين نظرتا إلى سَعدة.. قال الوليد: أوه أفلت والله يا ابن الزانية.. أخرج عنى.. فخرج.

أما سلمى فقد استعصت عليه.. قبل أن يلي الخلافة وأخذ الوليد يفكر كيف يصل إليها.. فخرج فى طريقه إلى قصرها.. فمر ببائع زيت على حماره.. فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه من الزيت.. وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك.. ففعل البائع ذلك.

وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سلمى فنادي: من يشتري الزيت.. فرأته الجواري.. فأسرعن إلى سلمى وقلن: إن بالباب زياتا أشبه الناس بالوليد.. فاخرجي فانظري إليه.. فخرجت فرأته ورآها فرجعت القهقري وقالت: هو والله الفاسق الوليد.. وقد رآني فقلن له: لا حاجة لنا إلى زيتك.. فانصرف **وهو يقول:**

إنني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليحْ

ولباسى ثوب شيخ من عباء ومسوحْ

وأبيع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيحْ

وقال أيضا:

فما مسكٌ يعلُّ بزنجبيل ولا عسلٌ بألبـــانِ اللقـــاحِ

بأشهى من مُجاحة ريق سلمى ولا ما فى الزقاق من القراحِ

ولا والله لا أنسى حياتى وثاقَ الباب دونى واطّراحـــيِ

وهناك أشعار كثيرة قالها فى سلمى.. وغناها المغنون ومن ذلك:

أرانى قد تصابيتُ وقـــد كنـــتُ تناهيـــتُ

ولو يتركنى الحبُ لقد صـــمتُ وصـــليتُ

إذا شئت تصبَّرتُ ولا أصبر إن شـــيتُ

سليمِى ليس لى صبرٌ وإن رخصتِ لى جيتُ

فقبَّلتك ألفين وفدّيتُ ..... وحيَّيـــتُ

وكذلك قوله:

خبرونى أن سلمى خرجت يوم المصلَّى

فإذا طير مليح فوق غصـــن يتفلَّـــى

قلت من يعرف سلمى قال هـــا ثـــم تعلَّـــى

قلت يا طير أدنُ منى قال هـــا ثـــم تـــدلّى

قلت هل أبصرت سلمى قـــال لا ثـــم تـــولّى

فنكا فى القلب كلْماً باطنا ثـــم تعلّـــى

ونلاحظ أنه يختار بحوراً سهلة الحفظ والأداء والغناء.. ومفردات بسيطة معبرة عما فى داخله..

ومن ذلك أيضا:

ويح سلمى لو ترانى لعناها مـــا عنـــانى

متلفاً فى اللهو مالى عاشقا حور القيـــانِ

إنما أحزن قلبى قول سلمى إذ أتانى

ولقد كنتُ زمانا خالى الدّرع لشـــانى

شاق قلبى وعنانى حبُّ سلمى وبرانـــى

ولكم لام نصيحٌ فى سليمٍى ونهـــانى

كان الوليد إذن لاهيا ماجنا عاشقا.. وأشعاره تؤرخ له سيرة ذاتية مختلفة عـــن أي خليفة قبله أو بعده.

وبلغ معه قول الشعر من السهولة ما جعله يوما على شراب مع أصحابه فقيـــل له: إن اليوم جمعة.. فقال: والله لأخطبنهم اليوم بشعر.. فصعد المنبر وخطب:

الحمد لله ولى الحمدِ أحمده فى يسره والجهـــدِ

وهو الذى فى الكرب أستعينُ وهو الذى ليس له قـــرينُ

أشهد فى الدنيا وما سواها أن لا إلـــه غيـــره إلهـــا

ما إن له فى خلقه شريكٌ قد خضعت لملكـــه ملـــوكُ

أشهد أن الدين دين أحمدِ فليس من خالفه بمهتـــدى

وأنه رسول رب العرشِ القادر الفردِ الشديد البطشِ

أرسله فى خلقه نذيرا وبالكتاب واعظـاً بشـيرا

وهى أرجوزة طويلة أوردها صاحب الأغاني فى حديثه عن الوليـد.. ويقتـل الوليد بعد عام واحد من خلافته حيث مقته الناس لانتهاكـه حرمـات الله وفسـقه وفجوره فى سنة ١٢٦ه.

لقد حاصره الناس يريدون قتله فقال: ألم أزدكم فى أعطياتكم.. ألم أرفع عـنكم المؤن.. ألم أعط فقراءكم.

فقالوا: ما ننقم عليك فى أنفسنا.. لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله.. وقتلوه.. ومثلوا به.

وبقيت سيرته شاعراً أشهر من كونه خليفة.. ويروى أن دخل علـى الرشـيد مروان بن حفصه فسأله الرشيد عن الوليد.. فـذهب مـروان يتزحـزح.. فقـال **الرشيد:** إن أمير المؤمنين لا ينكر ما تقول فقل.

قال مروان: كان من أظرف الناس وأشعر الناس.

قال الرشيد: أتروى شيئا من شعره؟

قال: نعم:

دخلت عليه مع عمومتي وفى يده قضيب ولي جُمَّة فى شعري كبيـرة فأخـذ يدخل القضيب فى جمتي ويقول: يا غلام.. ولدتك سـكّر (وهـى أم ولـد كانـت لمروان بن الحكم فزوجها أبا حفصة) ثم أنشد الوليد:

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أُترعاَ

كلنا له الصاع الذى كالها فما ظلمناه بها أصوُعاَ

لم نأت ما نأتيه من بدعةٍ أحلّه القرآن لى أجمعـاَ

فأمر الرشيد بكتابتها.. فكتبت..

المأمون

العالم الشاعر

سمع الحديث من أبيه الرشيد.. وأدبه الزبيدى وبعض الفقهاء.. ولما كبر عنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها.. فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

وكان أفضل رجال بني العباس حزما.. وعزما.. وحلما.. وعلما.. وأدبا.. ودهاء واستقل بالأمر بعد مقتل أخيه سنة ١٩٨ه.

وتزوج المأمون بوران بن الحسن بن سهل.. وكان عرسه من أشهر أعراس العرب.

بدأ رحلته مع الشعر فى حياة والده.. فقد روى أن الرشيد أراد أن يسافر بعد أسبوع.. ومضى الأسبوع ولم يحدث.. فاجتمع الناس إلى المأمون وسألوه فكتب إلى أبيه:

يا خير من دبت المطىّ به ومن تقدّى بسرجه فرسُ

هل غايةٌ فى المسير يعرفها أم أمرنا فى المسير ملتبسُ

ما علْم هذا إلا إلى ملكٍ من نوره فى الظلام مقتبسُ

إن سرتَ سار الرشادُ متبعاً وإن تقف فالرشاد محتبسُ

ولم يكن الرشيد يعرف أن ولده المأمون يكتب الشعر.. فلما قرأ هذه الأبيات.. وقع أسفلها: يا بني ما أنت والشعر.. إنما الشعر أرفع حالات الدنى.. وأقل حالات السرى..

وتسبب هذا التوقيع فى تحفظ المأمون فى قول الشعر والاتجاه إلى المعرفة والفلسفة.

وفى بلاطه كانت تعقد مجالس الأدب والفكر والعلم.. لكنه فى خضم هذه الحياة الفلسفية نادي بخلق القرآن وكانت محنة تاريخية كبيرة بالإضافة إلى تفضيل علىّ على أبى بكر وعمر.. فاشمأزت منه النفوس.. وسادت الفتن وظل على هذه الحال نحو خمس سنوات ثم تراجع عنه متأخرا.

وفى هذه المحنة أحضر المأمون مجموعة فقهاء البلاد فمن أنكر خلق القــرآن سجنه وعذبه.. ومن ذلك أنه سأل بشر بن الوليد: ماذا تقول فى خلق القرآن قــال: أقول كلام الله.

وسأل عليا بن مقاتل فقال: هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشئ ســمعنا وأطعنا.

وأخذ يسأل الفقهاء هكذا.. حتى جيء بابن حنبل مصفودا بالسلاسل فسأله فقال: هو كلام الله لا أزيد عن هذا.

لكن أشعاره فى التشبيب وغيره كانت حاضرة فى المجالس فقد روى أنــه نظــر إلى جارية من جواريه تخط خطا حسنا فقال:

وزادت لدينا حُظوة حين أطرقتْ وفى إصبعيها أسمرُ اللون أهيفُ

أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينال جسيماتِ المنى وهو أعجفُ

ويروى أنه قال لإبراهيم بن المهدي حين عفا عنه بعد ثورته:

أنت الخليفة الأسود.. فقال له:

– يا أمير المؤمنين أنت مننت علىّ بالعفو وقد قال عبد بني الحسحاس:

إن كنتُ عبداً فنفسي حرةٌ كرماً أو أسودَ الجلد إنى أبيضُ الخُلــق

فقال المأمون: يا عم.. خرّجك الهزل إلى الجد ثم قال:

ليس يزرى السواد بالرجل الشه م ولا بــالفتى الأديــب الأديــبِ

إن يكن للسواد منك نصيبٌ فبياض الأخــلاق منــك نصــيبىِ

وكان دائم الجلوس للمظالم.. ويرى أن امرأة دخلت عليه من سفر وعليها ثياب رثة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين.. فنظر المأمون إلى يحيي بن أكثم فقال لها: وعليك السلام يا أمة الله.. تكلمي بحاجتك فقالت:

يا خبر منتصف يُهدى له الرشدُ ويا إماما به قــد أشــرق البلــدُ

تشكو إليك عميد القوم أرملةً عُدى عليها فلم يُترك لهــا سَــيَدُ

وابتز منى ضياعى بعد مِنعتها ظلما وفُرِّق منى الأهــلُ والولــد

فأطرق المأمون حينما ثم رفع رأسه وقال:

فى دون ما قلت زال الصبرُ والجلدُ عنى واقــرحَ منـــى القلــبُ والكبــدُ

هذا أوانُ صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخَصم فى اليوم الذى أعدِ

فالمجلسُ السبتُ إن يفضَ الجلوسُ لنا نُنصــفك فيــه وإلا المجلــس الأحــدُ

فلما كان يوم الأحد جلس المأمون.. وجاءت المرأة فقال لها: أين الخصم قالت: الواقف على رأسك.. وأومأت إلى ابنه العباس فاندهش المأمون.. لكنــه أنصــفها ورد إليها ضيعتها وأمر لها بنفقة.

ولم يكن المأمون بعيدا عن سلطان الحب.. وله أشعار فى الحب والغزل منها:

لسانى كتوم لأسراركم ودمعى نمــومٌ لســرّى مــذيعْ

فلولا دموعى كتمتُ الهوى ولولا الهوى لم يكن لى دموعْ

وجاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن يحيى بن أكثم قال: ما رأيت أكمــل مــن المأمون.. بت عنده ليلة فانتبه وقال: يا يحيي انظر ماذا عند رجلي.. فنظرت فلــم أر شيئا.. فقال: شمعه.. واستدعى الخدم.. فاخذوا يفتشون فى الفراش فإذا بحيــة طويلة فقتلوها.

فقال يحيي: قد أضيف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب.

فقال المأمون: معاذ الله.. ولكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم وقال:

يا راقد الليل انتبه إن الخطوب لها سُرَى

ثقة الفتى بزمانه ثقة مُحَلَّلة العــرى

فانتبهت وأدركت ما رأيت..

ويروى أن المأمون عرضت عليه جارية شاعرة فصيحة شـــطرنجية فســـاومه صاحبها فى ثمنها بألفي دينار.

فقال المأمون: إن هى أجازت بيتا أقوله ببيت من عندها اشتريتها بهذا الثمن.. **وأنشد:**

ماذا تقولين فيمن شفَّه أرقٌ من جهد حبك حتى صار حيرانـــا

فأجازته الجارية:

إنا وجدنا محبا قد أضرَّبه داءُ الصـــبابةِ أولينـــاه إحســـانا

وللمأمون فى لعبة الشطرنج:

أرضٌ مربعةٌ حمراءُ من أَدَمٍ ما بين إلفين معروفين بـــالكرمِ

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلاً من غير أن يأثما فيها بسفك دمِ

هذا يغير على هذا وذاك على هذا يغيرُ وعينُ الحزمِ لم تـــنمِ

فانظر إلى فطنٍ جالت بمعرفةٍ فى عسكرين بلا طبل ولا علـــمِ

ومرض المأمون وهو فى رحلة إلى بلاد الروم.. ومات فى هذه الرحلة.. ودفن فى طرسوس.. فقال أحد الشعراء:

هل رأيت النجوم تغنى عن المأ مونِ أو عن ملكه المأســـوسِ

خلفوه بعرصتى طرسوسِ مثل ما خلفوا أباه بطوسِ

ويقال إنه لما حضرته الوفاة.. جلست عند رأسه جارية كان يعشقها ويصطحبها فى رحلته فجعلت الجارية تبكى وتقول:

يا ملكا لستُ بناسيه وليتني بالنفس أفديه

فأفاق المأمون من غشيته ونظر إليها.. وقال:

باكيتي من جزع أقصرى قد غلَّق الدهرُ بما فيه

ومن أقوال المأمون المأثورة:

- ألذ الغناء ما طرب له السماع، خطأ كان أو صوابا.
- لا نزهة ألذ من النظر فى عقول الرجال
- أحسن المجالس ما نُظر فيه إلى الناس
- الناس ثلاثة.. فمنهم مثل الغذاء لابد منه على كل حال، ومنهم كالدواء يحتاج إليه فى حال المرض.. ومنهم كالداء مكروه على كل حال.

وهكذا كان المأمون أديباً وحكيماً وشاعراً وحاكماً تجمع فى شخصيته مفــردات كثيرة تخلده على مدى الزمان

عبد الله بن المعتز

لسان بني العباس

فى موسوعته الأدبية {الأغاني} يقول الأصبهاني: [وممن صنع أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وشعرا وظرفا وتصرفا فى سائر الآداب: أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله.. وشعره فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين.. وأشياء ظريفة من أشعار الملوك فى جنس من هم بسبيله..].

ذلك هو عبد الله بن المعتز شاعراً عباسياً ممتازاً.. أوقف حياته على الشعر والتطلع إلى الخلافة.. وكانت حياته حلقة اتصال بين عهد وعهد.. بين عهد ذهبي خلد فيه العرب تراثهم الحضاري.. وعهد انحلال وانحطاط فقد فيه العرب أعظم مجد حضاري.

عاش ابن المعتز هذه الفترة أميراً وشاعراً.. حتى اغتيل جده المتوكل سنة ٢٤٧ه فكان هذا الحدث نذير شؤم على الخلفاء العباسيين من بعده.

وكان ابن المعتز ساعة هذا الاغتيال طفلاً وليداً.. لكنه حينما شب أدرك ما وراء الأحداث من مؤامرات.

ويشب الفتى ليشهد أحداثاً جساما.. وفتنا سوداء.. وإسرافا فى اللهو والعبث من أبناء الملوك والأمراء.. إلى أن المقتدر مكث نحو ست سنوات.. ثم اجتمع القضاة والقواد والأعيان على تولية ابن المعتز وبايعوه على الخلافة ولقبوه(الغالب بالله) وخلعوا المقتدر.

ثم دخلوا على الشيخ محمد جرير الطبرى فقال لهم: ما الخبر قالوا: بويع ابن المعتز.. قال: فمن رشح للوزارة.. قيل: محمد بن داود.. قال: فمن ذكر للقضاء.. قالوا: أبو المثني.. فأطرق الطبري ثم قال: هذا الأمر لا يتم.. قيل له: كيف؟.. قال: كل من سميتموهم متقدم فى معناه عالى الرتبة والزمان.. مدبر والدنيا مولية.. وما أرى هذا إلا اضحملالا.. وما أرى لمدته طولا..

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر لكى ينصرف من دار الخلافة فأجاب.. وطلب المقتدر من حراسه ألا يسلموا بالأمر الواقع فقصدوا محله (المخرم) ببغداد وفيها ابن المعتز.. فلما رآهم مسلحين هرب هو ووزيره وقاضيه ووقع النهب والقتل فى بغداد.. وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه.. وحبس ابن المعتز واستقام الأمر للمقتدر مرة أخرى.

وسجل التاريخ لابن المعتز خلافته نحو يوم وليلة..

ومن المؤكد أن العصر العباسي لم يعرف من خلفائه شاعراً كابن المعتز ولم يكن شاعراً فحسب وإنما كانت له إسهامات أدبية ونقدية أخرى.. ومن أهم هذه الكتب (طبقات الشعراء) و(البديع) و(الجامع فى الغناء) و(الزهر والرياض) وغيرها.. وله ديوان مطبوع فى أغراض الشعر المختلفة.

ومن أخبار ابن المعتز أنه كان مشغوفا بالغناء والمغنين فى مجلسه.. ومن ذلك أن جلس يوما وعنده جارية تغنيه.. وكانت حسنة الصوت لكنها فى غاية من القبح.. فلما قامت قيل له: أيها الأمير سألتك بالله أتعشق هذه التى ما رأينا قط أقبح منها.. فقال ابن المعتز وهو يضحك:

قلبىَ وثّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئا فيأباهُ

يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبح.. فيهواهَ

ومرة أخرى غابت عنه المغنية (بنت الكراعة) وكان يحب غناءها ويستظرفها فحنّ إليها.. قائلا:

ليت شعرى بمن تشاغلت بعدى وهو لا شك جاهلٌ مغرور

هكذا كنتُ مثله فى سرورٍ وغدا فى الهموم مثلى بصيرُ

وغدا فى الهموم مثلى بصيرُ وتأخرت عنه الجارية (خزامى) وهو حدث.. وكانت مغنية محسنة شاعرة ظريفة.. فراسلها مراراً لكنها لم تجبه.. فقال:

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبةً فقد سُمجَتْ من بغد توبتك الخمرُ

فأهديتُ ورداً كى يذكرعيشةً لمن لم يمتعنا ببهجتها الدهرُ

فأجابت خزامى:

أتانى قريضٌ يا أميرى محيرٌ حكى لىَ نظْمَ الدر فصّل بالشَّذْرِ

أنكرتَ يا ابن الأكرمين إنابتى وقد أفصحتْ ألسُنُ الدهرِ بالزجرِ

وآذننى شرخ الشباب ببينْه فيا ليت شعرى بعد ذلك من عذْرِ

ويروى جعفر بن قدامة أنه كان يسير يوما من أيام الربيع مع ابن المعتز بنواحى بغداد.. والدنيا كالجنة المزخرفة فقال:

حبذا آزارُ شهراً فيه للنور انتشارُ

ينقص الليل إذا جاء ويمتد المهارُ

وعلى الأرض اخضرارٌ واصفرارٌ واحمرارُ

فكأن الروض وشىٌ بالغت فيه النجارٌ

نقشه آسٌ ونسر ينٌ وورد وبهارُ

وكان ابن المعتز محل تقدير فى كتاب الأغاني.. حيث كان سنداً لمؤلفه فى أغانيه عن الملوك والأمراء من بني العباس وعن المغنين والمغنيات الشهيرات كأخبار عريب وشارية وخزامي وفضل الشاعرة.

وابن المعتز ينعى على القدماء أسلوبهم الجاف فى كتابة الشعر كما فعل أبو نواس.. وفى هذا يقول:

أحسن من وقفة على طللِ ومن بكاءٍ فى إثر محتملِ

كأسٌ صبوحٌ أعطتك فضلتها كفٌ حبيبٍ والنقلُ من قُبلِ

فى مجلس جالت الكئوسُ به فالقومُ من مائل ومنجدلِ

يطوف بالراح بينهم رشا محكّمٌ فى القلوب والمقلِ

وله فى وصف الساقية والخمرة قوله:

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهةُ خدَّيُها بغير رقيبِ

قبتِّ لدى ليلين بالشعر والدجى وصبحيْن من كاسٍ ووجه حبيبِ

أما غزله فلا يقل روعة وجودة عن حديثه عن الخمر والشراب.. فهو مغرم بالجواري.. غزل بهن ومن ذلك ما قاله فى جارية ندعي (شِرّة):

قف خليلى نسألْ لشَّرةَ داراً ومحلاً منها خلاء قفاراَ

ضاع شوقى إليك لم تعلميه بات بين الأحشاء يوقد ناراً

عزلتنى عنها المخافةُ إلا من خيالٍ إذا دجى الليل ساراَ

لم يزلْ فى الرقادِ يلثم فاها ويقضىّ من شرَّةَ الأوطاراَ

وله فى كتمام الحب قوله:

لما رأيت الحب يفضحُنى ونمتْ علىّ شواهدُ الصبِ

ألقيتُ غيرك فى ظنونهمُ وسترتُ وجه الحب بالحبِ

وقال فى طردياته يصف الكلاب:

ولما غداْ خيلنا للطرادِ جعلنا إلى الدير ميعادها

وقاد مكلّبنا ضُمَّراً سلوقيةً طالما قادها

معلمة من بنات الرياح إذا سألتْ عدوها زادها

وتخرج أفواهها ألسُناً كفتق الحناجرِ أغمادَها

وأمسكن صيداً ولم تُدمِه كضم الكواعبِ أولادها

لقد عاش عبد الله بن المعتز مخلصا للشعر معبراً عن حياته بصدق وبساطة وأبى أن يفعل كما فعل القدماء من البكاء على الأطلال.. واستخدام الحوشي من اللغة.. بل لجأ إلى البساطة والسلاسة.. والصورة القريبة الطازجة.. والوصف الذى يجسد الواقع بفن رفيع فكان لسان حال العباسين الشعري.

الشريف الرضى

أمير الحج والمظالم

شقيقان عاشاً عصراً واحداً.. لكنهما مختلفان.. فالشريف المرتضى اكتفي من حظه فى الدنيا بالعلم يشغل نفسه به.. وبالزهد والتقي.. صارفا نفسه عن الطمع فى السلطة– أية سلطة–

أما الأخ الأخر الشريف الرضي فكان نابغا منذ طفولته.. قلق النفس والروح.. كثير الطموح.. طالماً حدثته نفسه أن يكون الخليفة القائم على أمور المسلمين لأنه يري فى نفسه الأحق بها عن الجالسين على عرشها.. ولطالما عبر عن ذلك فى أشعاره غير مبال بأي سلطة قائمة.

ولد شاعرنا سنة ٣٥٩ه واسمه أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسي.. وينتهي نسبه إلى جعفر الصادق الذى ينتسب إلى على بن أبي طالب.

ووالده هو أبو أحمد الحسين لقبه بهاء الدولة بن بويه بالطاهر الأوحد وكان يتولي نقابة الطالبيين وإمارة الحج والنظر فى المظالم.

ويظل أبوه متوليا تلك المهام حتى تولي القادر الخلافة فأعقى الرجل من مناصبه ليردها إلى ولده الشريف الرضى عام ٣٨٨ه ليصير الشريف أمير الحج والمظالم ونقابة الطالبيين.

وقد تتلمذ الشريف على يد شيوخ عصره فى بغداد فدرس النحو واللغة والشعر والتفسير منذ العاشرة.

وإلى جانب ديوان شعره الكبير ترك لنا مؤلفات نثرية أخرى منها:

نهج البلاغة – من كلام الإمام على بن أبي طالب – المجازات النبوية – تلخيص البيان فى مجازات القرآن – خصائص الأئمة – حقائق التأويل – معاني القرآن – أخبار قضاة بغداد.. وغيرها.

أما شعره فيجمع المؤرخون أنه تأثر بالمتنبي تأثراً كبيراً خاصة فى موضوعات شكوى الزمان.. ومناهضة الدهر ومن ذلك قوله للخليفة القادر:

عطفا أمير المؤمنين فإننا فى دوحة العلياء لا نتفرقُ

ما بيننا يوم الفخار تفاوتت أبدا كلانا فى المعالى مُعــرِقُ

إلا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطلٌ منها وأنت مطــوقُ

ويقول له أيضاً:

أنتم موادع كل خطب يُتَّقى وبكم يفرَّجُ كل باب يغلــقُ

لله يوم أطلعتك به العلى علماً يزاولُ بالعيون ويرشقُ

مالوا إليك محبة فتجمعوا ورءوا عليك مهابة.. فتفرقوا

وأنا القريب إليك فيه ودونه ليدىْ عدوّك طود عز أعنــقُ

ويظل ليدىْ عدوّك طود عز أعنقُ شعوره بأحقيته فى الخلافة طــوال حياتــه.. فهو يفخر بنفسه وبنسبه وبأنه عربي أصيل.. كما فعل المتنبي فى قصــائده التــى يفخر بها بنفسه.

واشتهر الشريف الرضي أيضا بالتشبيب فى البدويات يتغني بجمالهن وحسنهن الطبيعي العربي وله فى ذلك أشعار كثيرة منها:

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليومَ أن القلبَ مرعــاكِ

الماءُ عندك مبذولٌ لشاربه وليس يرويك إلا مدمع الباكي

هبت لنا من رياح الغور رائحةٌ بعد الرقــاد عرفناهــا بريــاكِ

ثم انثنينا إذا ما هزنا طربٌ على الرحــال تعللنــا بــذكراكِ

سهم أصاب ورامیه بذی سلَمٍ من العراق لقد أبعدتِ مرمـــاكِ

وعدٌ لعینیك عندي ما وفیت به یا قرب ما كذبت عینىّ عینـــاك

حكت لحاظك ما فى الریم من مُلَح یوم اللقاءِ فكان الفضل للحاكى

عندى رسائل شوق لست أذكرها لولا الرقیب لقد بلّغتُهـــا فـــاكِ

هاتف بك العین لم تتبع سواك هوى من علم العین أن القلب یهواك

وهى قصیدة اشتهر بها الشریف الرضي وعارضها كثیر من الشعراء لرقتهـــا وعذوبة موسیقاها.. وبساطة معانیها.

وقال یصف لیلة من لیالى سمره وعشقه:

ورب لیل أخذنا فیه لذتنا من الزمان بـــلا خـــوف ولا وجـــلِ

كنا نؤمله فى الدهر واحدةً فجاءنا بالذى یـــوفى علـــى الأجـــلِ

ورب لیل منعنا فى أوائله إلى الصباح جواز القـــوم بالمقـــلِ

بتنا ضجیعین فى ثوب الظلام كما لف القضیبیْن مرُّ الـــریح بالأصـــلِ

طورا عناقا كأن القلب من كثبٍ یشكو إلى القلب ما فیه من الغُلـــلِ

وتارةً رشفاتٍ لا انقضاء لها شربَ النزیف طوى علاً على نَهـــلِ

وكم سرقنا على الأیام من قُبل خوف الرقیب كشرب الطائر الوجِلِ

أما قصائده فى الفخر فهي كثيرة تتـــرجم طموحـــه للمعـــالي وتؤكـــد أحقيتـــه بالخلافة.. وهو فى إحدى قصائده يشكو الزمان الشحيح ثم يتدرج فى الشعر حتى يصل إلى الفخر بنفسه وبآبائه فيقول:

تسخّطنا القضاءُ ولو عقلْنا فما يغنى تســخطنا القضـــاءَ

سأمضى للتى بل عيب فيها وإن لـــم أســـتفد إلا عنـــاءَ

وأطلب غايةً إن طوحتْ بى أصابت بى الحِمام أو العلاءَ

أن ابن السابقين إلى المعالى إذا الأمدُ الطويلُ ثنى البطاءَ

شأونا الناس أخلاقا لداناً وأيماناً رطابـــا.. واعـــتلاءَ

ونحن النازلون بكل ثغرٍ نريق على جوانبـــه الـــدماءَ

ونحن الخائضون لكل هولٍ إذا دبَّ الجبان به الضِّـــراءَ

ونحن اللابسون لكل مجدٍ. إذا شئنا ادراعـــاً وارتـــداءَ

أقمنا بالتجارب كل أمرٍ أبى إلا اعوجاجـــاً والتـــواءَ

نجرُّ إلى العداةِ سلاف جيش كعرض الليل يتســـع اللـــواءَ

أما مدائحه فهي كثيرة أيضا منها ما مدح به أباه مهنئا إياه بعيد الفطر.. ومنهـــا مدائحه للخليفة الطائع يهنئه أيضا بالعيد ويعاتبه على تأخير الإذن للقائه.. ويمـــدح الصاحب بن عباد الوزير الأديب المشهور حين علم أنه معجب بشعره.. ومدحـــة أخرى لبني بويه الذين انتصروا على العباسيين ويذم أعداءهم.. ومدحـــة أخـــرى للخليفة القادر وهكذا.

أما باب الشكوى فى شعره فهو مفتوح على مصراعيه ومن ذلك:

أبغدادُ: مالى فيك نهلةُ شاربٍ من العيش إلا والخطوبُ مزاجُها

ولو أنني أرضى بأدنى معيشة لأ رضتْ مناى عند أهليك حاجُهـا

ولكننى جارٍ على حُكم همةٍ كثير عن الطبع الذليل انعراجُهـا

أو يقول:

أرى ذَمِّىَ الأيام ما لا يضرها فهل دافع عنى نوائبها الحمـدُ

وما هذه الدنيا لنا بمطيعةٍ وليس لخلْقٍ من مداراتها بـدُ

تحوز المعالى والعبيدَ العاجزٍ ويخدمُ فيها نفسَه البطلُ الفردُ

وله أغراض أخرى مثل الرثاء.. واشتهرت مرثيته لأبى أسحق الصابي وكـان صديقا حميما له.. فرثاه رثاء مبكيا مما جعل الناس يعجبون من شـريف مسـلم يرثي رجلا من الصابئة **وفيها يقول:**

جبلٌ هوى لو خرَّ فى البحر اغتدى من وقعـه متتـابع الإزيـادِ

ما كنتُ أعلم قبل حطّك فى الثرى أن الثرى يعلو علـى الأطـوادِ

بعدا ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيونَ وقتَّ فى الأعضادِ

لا ينفد الدمع الذى يُبكى به إن القلـوب لـه مـن الأمـداد

يبقي أن نقول إن الثعالبي فى يتيمة الدهر قد احتفي به احتفاء كبيراً حيث يقول عنه:

[هو اليوم أبدع أبناء الزمان.. وأنجب سادة العراق.. يتحلي مع محتده الشريف.. ومفخرة المنيف.. بأدب ظاهر.. وفضل باهر.. وحظه من جميع المحاسن وافر.. هو أشعر الطالبيين من مضي منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين... ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق.. فشعره يجمع إلى السلاسة متانة.. وإلى السهولة رصانة..]

أبو فراس الحمدانى

الأمير الأسير

ترى.. هل كان عنترة محقاً حين قال:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهمِ

وهل كان الصاحب بن عباد محقاً حين قال:

بدئ الشعر بملك وختم بملك.. قاصدا امرأ القيس وأبا فراس أم أن من يحكم على مسيرة الشعر ينظر إلى ماضيها دون أن يتنبأ بما سوف يكون.

تلك قضية جدلية واسعة.. لا مجال لمناقشتها هنا.. لكن الأمر- فى تصورنا- لا يعدو حماس المؤرخين والرواة الذين جعلوا أشعر الشعراء عدداً كبير منهم.. ولا ندرى على أى برهان استند هؤلاء فى أحكامهم.

ولأننا فى سياق مختلف.. فسوف ندخل حضرة شاعر أمير قيل عنه إنه خاتم الشعراء.. لكن إقبالنا عليه ليس لأنه وصف بهذا الوصف وإنما لأنه كان شاعراً أميراً منذ ولد.. وينتسب إلى أسرة شريفة.

فأبو فراس الحمداني – الحارث بن سعد الحمداني ولد فى الموصل فى عام ٣٢٠ه وينتسب إلى العرب من جهة أبيه.. وإلى الروم من جهة أمه.. **وقد صرح بذلك فى قوله:**

إذا خفتُ من أخوالىَ الروم خطة تخوفتُ من أعمامي العُرب أربعا

وقد نشأ يتيم الأب.. وقصة ذلك أن أباه اغتيل فى عام ٣٢٣ه والصبي فى الثالثة من عمره وحينما تقلد سيف الدولة عرش الدولة الحمدانية.. أحاط ابن عمه اليتيم بالرعاية والعطف.. وحاول أن ينسيه شبح جريمة ابن عمه القاتل.. ولكن يبدو أن عداء بني حمدان لفرع الشاعر كان أصيلا.. لهذا رأينا خشية سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة من صعود نجم أبي فراس فى مواقف كثيرة.

ويشب أبو فراس وتحمله أمه إلى مواطن الحمدانيين ليستقر فى منـــبج وهنـــاك يتلقي ثقافته وفروسيته.. بالإضافة إلى حضوره الدائم فى بلاط سيف الدولة التـــى يحفل بالشعراء والفقهاء والعلماء من كل حدب وصوب.

لكن الحدث الذى جعل شاعرنا فى موقف التحدى الكبير هو قدوم أبي الطيـــب المتنبي على سيف الدولة فى بلاطه ليكون شاعره الأثير.. وكثيـــرا مـــا حـــدثت مساجلات بين المتنبي وجلساء سيف الدولة.. ينحاز فيها سيف الدولة إلى شاعره.

ويختلف الرواة على قيمة أبي فراس والمتنبي.

فهذا ابن رشيق يقوله فى كتابه {العمدة].

- وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده.. ولولا مكانه من السلطان لأخفاه.

أما الثعالبي فيقول فى {يتيمة الدهر}.

- إن أبا الطيب المتنبي كان يشهد لأبي فراس بالتقدم والتبريز.. ويتحامى جانبه.. فلا ينبري لمباراته.. ولا يجترئ على مجاراته.

وهناك مساجلة مشهورة بين الشاعرين تبدأ حينما أنشد المتنبي قصيدته:

واحر قلباه ممن قلبه شبمُ ومن بجسمى وحالى عنده سقمُ

مالى أكتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمـــمُ

وحينما بلغ المتنبي قوله:

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

قاطعه أبو فراس وقال:

لقد مسخت قول وعبل:

ولست أرجو انتصافاً منك ما زرفت منى دموعاً وأنت الخصمُ والحكمُ

ويستمر المتنبي قائلا:

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورمُ

أدرك أبو فراس أنه يعنيه فقال له:

قل لى من أنت يا دعىّ كندة حتى تأخذ بأعراض الناس.

ويواصل المتنبي:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدمُ

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صممُ

فصاح أبو فراس فى غيظ:

وهذا المعنى أيضا سرقته من عمر بن العبد حين قال:

أوضحتَ من طرق الآدابِ ما اشتكلت دهراً وأظهرت إغراباً وإبداعاً

حتى فتحت بإعجاز خصصتَ به للعمى والصمِّ أبصارا وأسماعاً

ثم قال المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال أبو فراس:

وماذا أبقيت للأمير سيف الدولة..

وتنتهي هذه المجادلة بأن ضرب سيف الدولة المتنبي بمحبرة ليرد المتنبي:

إن كان سركمُ ما قال حاسدنا فما لجرحٍ إذا أضناكمُ ألم

فعاد سيف الدولة ورضي عنه وأثابه.

وينقسم بلاط سيف الدولة إلى فريقين: فريق يناصر أبا فراس بما له من مكانة وشاعرية.. وفريق يناصر المتنبي.. وتفلح السهام الخفية الحاقدة فى إقصاء أبي فراس شيئا فشيئا.. حتى تأتي حادثة الأسر لتؤكد عاطفة سيف الدولة المصطنعة من أبي فراس.

فقد خرج ابن أخت ملك الروم فى ألف فارس فى نواحي منبج فصادف أبا فراس يتصيد ومعه سبعون فارساً.. فأراده أصحابه على الهزيمة فأبي أبو فراس وثبت حتى أثخن بالجراح وأسر.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة من حياة وأشعار أبي فراس..

لقد نقل جريحا إلى خرشنة فقال:

إن زرت خرشنةً أسيراَ فلقد حللتُ بها مغيرَا

ولقد رأيت النار تن تهب المنازل والقصورَا

إن طال ليلى فى ذراك لقد نعمتُ بها قصيرَا

صبرا لعل الله يفت حُ هذه فتحاً يسيرَا

من كان مثلى لم يبت إلا أسيراُ أو أميرَا

وهنا يعرض الروم من خلال الشاعر أن يسترجعوا أسراهم لدي سيف الدولة ومن بينهم (بودرس) شقيق قائد الروم نظير فك أسر أبي فراس.

فيرسل أبو فراس إلى سيف الدولة أولي قصائده يخبره بهذا العرض ويسأله المفاداة:

دعَوْتُكَ للجَفنِ القَرِيحِ المُسَهّدِ لَـــدَيّ وَلِلنّـــوْمِ القَلِيـــلِ المُشَـــرّدِ

وَما ذَاكَ بُخْلاً بِالحيَاةِ وَإنّهَا لأَوّلُ مَبْـــــذُولٍ لأوّلِ مُجْتَـــــــدِ

وَمَا الأَسْرُ مِمّا ضِقْتُ ذَرْعاً بحَمْلِهِ وما الخطبُ مما أنْ أقولَ لهُ: قدِى

ولَكِنّني أخْتَارُ مَوْتَ بَني أبي على صهواتِ الخيلِ غيـــرَ موســـدِ

وَتَأبَى وَآبَى أنْ أمُوتَ مُوَسَّداً بأيدي النّصَارَى مَوْتَ أكمَـــدَ أكبَـــدِ

نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جلادتي ولكنني لـــمْ أنـــضُ ثـــوبَ التجلـــدِ

أناديكَ لا أني أخافُ منَ الردى ولا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلـــى غـــدِ

ولكنْ أنفتُ الموتَ في دارِ غربةٍ بأيدي النّصَارَى الغُلفِ مِيتَةَ أكمَدِ

فلا تتركِ الأعداءَ حولي ليفرحوا وَلا تَقطعِ التّســآلَ عَنـــي وَتَقْعُـــدِ

متى تخلف الأيام مثلى لكم فتى شديدا على البأســـاءِ غيـــر ملهـــدِ

فإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلا وأســـرعَ عـــوادٍ إليهـــا معـــوَّدِ

وَإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا لِعُلاكُمُ فتى غيرَ مردودِ اللســـانِ أو اليـــدِ

يدافع عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحســـام المهنـــدِ

فلاَ وأبي ما ساعدان كساعدٍ وَلا وَأبـــي مـــا سَـــيّدَانِ كَسَـــيّدِ

ويختتم أبو فراس قصيدته الطويلة بقوله:

فلا يحرمَنّى الله قربك إنه مرادى من الدنيا وحظى وسؤددِى

لكن سيف الدولة ادّعى إنه يريد أن يفتدي أسرى المسلمين دفعة واحـــدة.. فلـــم يقبل عرض الفداء.

ويظل أبو فراس يرسل إلى سيف الدولة قصائده التى عرفت بالروميات مجسدا مرارة الأسر والغربة والبعد عن أمه المريضة:

يقولون لى بعتَ السلامة بالردى فقلت أمـــا والله مـــا نـــالنى خيـــرُ

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقـــدُ البـــدرُ

فإن عشتُ فالطعن الذى يعرفونه وتلك القنا والبيض والضّمر الشفْرُ

وإن مت فالإنسان لابد ميتٌ وإن طالت الأيام وانفســـح العمـــر

تهون علينا فى المعالى نفوسُنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهرُ

ويتلقي أبو فراس رسالة من أمه المريضة بأنها فى شوق إليه.. وأنها لـــم تعـــد تتحمل بعده عنها.. فينشد:

مصابى جليلٌ والعزاءُ جميلُ وظنى بأن الله ســـوف يـــديلُ

جراح تحاماها الأساةُ مخوفةٌ وسقمان: باد منهمـــا ودخيـــلُ

وأسر أقاسيه وليل نجومُه أرى كل شئ غيـــرهن يـــزولُ

تطول بنا الساعاتُ وهى قصيرةٌ وفى كل دهر لا يســـرك طـــولُ

فيا أمتا لا تخطئى الأجر إنه على قدر الصبر الجميل جزيلُ

وتذهب الأم إلى سيف الدولة لكنه لم يجب رجاءها فى مفاداة ولدها ويعلم أبـــو فراس ذلك فأخذ يبكي ويشكو حاله إلى الله.. ويرسل إلى سيف الدولة:

يا حسرة ما أكاد أحملُها آخرهـــا مـــزعجٌ.. وأولُهـــا

عليلةٌ بالشام مفردةٌ بـــات بأيـــدى العـــدا معلِّلُهـــا

تسأل عنا الركبانَ جاهدةً بأدمع ما تكـــاد تُمهلهـــا

يا أيها الركبان هل لكما فى حمل نجوى يخف محملُهـــا

قولا لها إن دعتْ مقالكما وإن ذكـــرىِ لهـــا ليـــذهلُها

يا أمّتا هذى منازلُنا نتركهـــا تـــارةً.. وننزلُهـــا

يا سيداً ما تعدُّ مكرمةً إلا وفـــى راحتيـــه أكملُهـــا

بأى عذر رددت والهةً عليـــك دون الـــورى معوِّلُهـــا

أرحامنا منك لم تقطّعها ولـــم تـــزل دائبـــاً توصِّـــلُها

أين المعالى التى عرفت بها تقولُهـــا دائمـــا وتفعلهـــا

فيا أمتا لا تخطئى الأجر إنه على قدر الصبر الجميل جزيلُ

وترحل أم أبي فراس ويرثيها بقوله:

إذا ابنك سار فى بر وبحرٍ فمن يـــدعو لـــه أو يســـتجيرُ

ليبكك كل يوم صُمتِ فيه مصابرةً وقـــد حمـــىَ الهجيـــرُ

أيا أماه كم سر مصونٍ بقلبكِ ماتَ لـــيس لـــه ظهـــورُ

إلى من أشتكى ولمن أناجى إذا ضاقت بما فيهـــا الصـــدورُ

وحينما يئس أبو فراس من استجابة ابن عمه سيف الدولة إلى مفاداته طلب منه أن يأذن فى مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم فلعلهم يفادونه وينوبون عنه فى محنته.. فيرسل إليه سيف الدولة بأن أحدا هناك لا يعرفه حتى يجيبه إلى طلبه.. فيرد أبو فراس:

أسيف الهدى وقريع العرب علام الجفاءُ.. وفيم الغضبْ

وفيم تفزعنى بالخمولِ مولىً به نلت أعلى الرتبْ

ومن أين ينكرنى الأبعدون أمن نقص جد.. أمن نقص أبْ

ألستُ وإياك من أسرةٍ وبينى وبينك فوق النسبْ

وبعد أخذ ورد بين الروم وسيف الدولة وخراسان.. تم إطلاق سراح الأسري.. ويعود أبو فراس إلى وطنه.. فيجد سيف الدولة يعاني مرض الموت.. ويجعل الوصاية على ولده أبي المعالي لغلامه التركي قرعويه.

ويتآمر قرعويه على أبي فراس ويوقع به.

وكانت آخر كلمات للأمير الفارس الشاعر أبي فراس إلى ابنته:

أبنيتي لا تجزعى كل الأنام إلى ذَهابْ

نوحى علىّ بحسرةٍ من خلف سترك والحجابْ

قولى إذا ناديتني وعييت عن رد الجوابْ

زين الشباب أبو فرا سٍ لم يمتع بالشباب

المعتمد بن عباد

ودولة الشعر

جاء فى كتاب الحلة السَّيراء لابن الآبار:

يروى أن رجلاً من أهل اشبيلية كان يحفظ شعرا للمعتمد بن عباد.. ثم خـــرج إلى أقصى حى فى العرب فأوى إلى إحدى خيامهم.. ولاذ بذمة راع من رعاتهم.. ثم بدأ ينشد قصيدة بأحسن صوت وأشجاه فلما انتهي رفع رواق الخيمة عن رجل وسيم ضخم تدل سيما فضله على أنه سيد أهله..

فقال: يا حضري.. حياك الله.. لمـــن هـــذا الكـــلام الـــذى اعـــذوْذبِ مـــورده واحضوضل منبته.. وتحلت بقلادة الحلاوة بكره.. وهدَر بشقشقة الجزالة بكـــرة.. فقال الرجل: هو لملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عباد.. فقال العربي: أظـــن هذا الملك لم يكن له من الملك إلا حظ يسير.. ونصيب حقير.. فمثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشئ دونه.

وهو خبر طويل مملوء بالعجب والإعجاب بشعر المعتمد بن عباد..

والمعتمد ولد عام ٤٣١ه لأبيه المعتضد الذى كان فى حرب دائمة مع البربـــر أمراء غرناطة ومالقة بالأندلس.. ثم خلفه ولده أبو القاسم محمد سنة ٤٦١ه وتلقب بالمعتمد على الله.. والظافر بحول الله.. والمؤيد بالله.. وكان فتى فى الثلاثين مـــن عمره حين أورثه أبوه ملك أشبيلية..

وكان المعتمد وثيق الشبه بأبيه.. لكنه كان أقل شدة وعنفا من أبيه وكان أميـــراً عظيماً من أمراء الفروسية.. وشاعراً صادقاً يتغني بالجمال أين يكون.

وأثر عنه أنه لم يكن يختار وزيراً ولا كاتبا ما لم يكن شاعراً.. بل كان بلاطـــه يحفل بالأدباء والشعراء. أما عالمه الشعري فهو متنوع الأغراض.. يلجـــأ إليـــه ليعبر به عن مشاعره وعن طموحاته..

ذهب المعتمد إلى فتح مالقة ومعه أخوه جابر.. فووجه بمقاومة شديدة اضطرته إلى الفرار.. مما أثار غضب أبيه المعتضد عليه.. فظل المعتمد يستعطف أباه ويعتذر له فى قصائد كثيرة كانت أشهرها قوله:

سكّن فؤادك لا يذهب بك الفكرُ ... ماذا يعيد عليك البثُّ والحذرُ

وازجر جفونك لا ترض البكاءَ لها ... واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبرُ

وإن يكن قدرٌ قد عاق عن وطرٍ ... فلا مردّ لما يأتى به القدرُ

وإن تكن خيبةٌ فى الدهر واحدةٌ ... فكم غزوت ومن أشياعك الظفرُ

ثم يخاطب أباه بقوله:

لم يأت عبدك ذنباً يستحق به ... عتباً وها هو قد ناداك يعتذرُ

ما الذنب إلا على قوم ذوى دغلٍ ... وفى لهم عهدُك المعهود إذ غدرواُ

قومٌ نصيحتهم غشٌ وحبُّهم ... بعضٌ.. ونفعهُم إن صرَّفوا ضررُ

مولاى دعوةَ مملوك به ظمأ ... برحٌ وفى راحتيك السلسلُ الخصرُ

أجب نداءَ أخى قلبٍ تملكه ... أسىً وذى مقلةٍ أودى بها السهرُ

رضاك راحةُ نفسيً لا فجعتُ به ... فهو العتادُ الذى للدهرِ يُدَّخرُ

وقد نشأ المعتمد فى قصر أبيه يحوطه الترف والزينة.. وأخذ من أبيه الأدب والثقافة.. كما أخذ من معلميه الفقه والعلم واللغة.. فلما تفتحت ملكته الشعرية نمت فى هذا العالم الرحب الذى يحيطه.

ويتعرف عليه ابن عمار الشلبي وكان شابا مثله.. فصاحبه إلى المجون والشراب والغناء.. وعلم بذلك أبوه المعتضد.. فاستدعاه وأخذ يدربه على فنون السلطة والحكم.

وتستهويه فتاة تسمى (اعتماد) من أهل أشبيلية فاقترن بها وهى أم أولاده. ولـــه فيها أشعار كثيرة منها قوله:

أغائبة الشخصِ عن ناظرى وحاضرةٌ فى صـــميم الفـــؤادِ

عليك سلام بقدر الشجو نِ ودمع الشئون وقدر السهادِ

تملكتِ منّىَ صعب المرا مِ وصادفتِ ودىَ سهل القيـــادِ

مرادىَ لقياك فى كل حين فيا ليت أنـــىَ أُعطـــى مـــرادىِ

أقيمى على العهد ما بيننا ولا تســـتحيلى لطـــول العبـــادِ

دسستُ اسمك الحلو فى طيه وألفتُ فيه حـــروف (اعتمـــادِ)

وكان للمعتمد جارية تسمى (جوهرة) وكان هائما بها.. فكتب إليها يسترضـــيها فى عتاب جرى بينهما:

سرورنا دونكمُ ناقصُ والطيبُ لا صاف ولا خالصُ

والسعد إن طالعنا نجمُه وغبتِ فهو الآفـــلُ النـــاكصُ

سمَّوْك بالجوهر مظلومةً مثلـــك لا يدركـــه غـــائصُ

وروى أنه عزم على إرسال حظاياه من قرطبة إلى أشـــبيلية فخـــرج معهـــن يودعهن.. وسايرهن من أول الليل إلى الصبح.. ورجع وقال:

دارىَ الغرامَ ورام أن يتكتما وأبى لســـانُ دموعـــه فتكتمـــاَ

رحلوا وأخفى وجدَه فأذاعه ماءَ الشجون مصرّحا ومُجمجماَ

سايرتهم والليل غفلٌ ثوبهُ حتى تـــراءى للنـــواظر مُعلمـــاَ

فوقفتُ ثمَّ محيراً وتسلّبتْ منى يد الإصباح تلــك الأنجمــاَ

وكان أبوه قد أرسله على رأس جيش للاستيلاء على مالقة عام ٤٥٩ه من يــد باديس الصنهاجي أمير غرناطة فاستولى عليها سريعا وغره ذلك فأفضي إلى لهوه وخمره.. مما جعل عدوه يهاجمه مرة أخرى ليعود إلى أشبيلية.. لكنه استطاع أن يستولي على قرطبة فى العام الثاني من حكمه..

ويعود المعتمد إلى اللهو والشراب واللذات فاستغاث الفقهاء وأهل الأندلس بابن تاشفين أمير المرابطين كي يخلص الأندلس من حكــم هــؤلاء الأمــراء الــذين مزقوها..

ويواجه ابن عباد بأعدائه يهاجمونه فأخذ يقاوم إلى أن استســلم.. وأمــر ابــن تاشفين بنفيه مع أهله فى المغرب فنقلوا جميعا من أشبيلية إلــى طنجــة بحــراً.. وانتهي به الأمر إلى (أغْمات) بالقرب من مراكش وظل بها حتى وفاته ٤٨٨ه بعد أربع سنوات قضاها فى المنفي..

وكما فعل أبو فراس حينما سمع نوح الحمامة.. فعل المعتمد حينما رأى قمريــة تنوح بفننها وأمامها وكر به حمامتان وكأنها تبكى أليفها.. فقال:

بكتْ أن رأت إلفين ضمهما وكرُ حساء وقد أخنى علــى إلفهــا الــدهرُ

بكت لم تُرق دمعاً وأسْبلتُ عبرةً يقصّر عنها القطْرُ مهما همى القطــرُ

وناحت وباحت واستراحت بسرِّها وما نطقــت حرفــاً يبــوح بــه ســرُ

فما لىَ لا أبكى أم القلبُ صخرةٌ وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهرُ

بكت واحداً لم يشجها غير فقدهِ وأبكــــى لآلافٍ عديــــدهمُ كثْــــرُ

ويقول عنه ابن بسام فى كتابه {الذخيرة}: كان متمسكا من الأدب.. وضاربا فى العلم بسهم.. وله شعر كما انشق الكِمامُ عن الزهر..لو صدر مثلــه عمــن جعــل الشعر صناعة.. واتخذه بضاعة لكان رائعا معجبا.. ونادرا مستغربا..

وللمعتمد أشعار كثيرة فى منفاه يفيض بالأسى والحزن منه قوله:

غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ سيبكى عليه منبرٌ وسـريرُ

وتندبه البيضُ الصوارمُ والقنا وينهلُّ دمـعٌ بيـنهنّ غزيـرُ

إذا قيل فى {أغمات} قد مات جودُه فما يرتجى للجود بعدُ نشـورُ

فيا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً أمامى وخلفى روضةٌ وغديرُ

تراه عسيرا أم يسيراَ مثالُه ألا كل ما شاء الإلـه يسـيرُ

وللمعتمد مراث كثيرات لا تقل جودة عن أشعاره فـى أغراضـه الأخـرى.. خاصة مراثية لأبنائه وتفجعه لزوال سلطانه.. ومن ذلك قوله:

ما يعلم المرء والدنيا تمرّ به بأن صرفَ ليالى الدهرِ محـذورُ

بينا الفتى مُتردّ فى مسرّته وافى عليه مـن الأيـام تغييـرُ

وفرّ من حوله تلك الجيوش كما تفر– عاينتِ الصقرَ– العصافيرُ

وخر خسراً فلا الأيامُ دُمْن له ولا بما وُعدَ الأبـرارُ محبـورُ

من بعد سب كأحلام تمرّ وما يرقى إلـى الله تهليـلٌ وتكبيـر

أما فى الزهد فله قصائد أخرى.. ولابد أنه قالها فى منفاه.. حين أحس بـزوال الدنيا ونعيمها ومن ذلك قوله:

أرى الدنيا ذالدنية لا تواتى فأجملْ فى التصرفِ والطلابِ

ولا يغررْك منها حسن بُردٍ له علَمان من ذهب الـذهابِ

فأولها رجاءٌ من سرابٍ وآخرهـا رداءٌ مـن تـرابِ

وكان وهو فى منفاه يجيز الشعراء ويمنحهم أموالاً سخية.. ويروى أن أبا الحسن الحصرى قصده وأنشده قصيدة فوجه المعتمد له بستة وثلاثين مثقالا لم يكن عنده سواها وأرفقها بأبيات اعتذار من قلتها.. وعبر المعتمد عن ذلك بقوله:

شعراء طنجة كلهم والمغربُ ذهبوا من الإعراب أبعدَ مذهبِ

سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحقُّ فاعجب واعجبِ

لولا الجياء وعزةٌ لخميةٌ طىّ الحشا ناغاهم بالمطلبِ

وهكذا لم ينس المعتمد أنه كان أميرا.. وما زال فى منفاه يؤكد إمارته.. وشاعريته الفذة.

عبد الرحمن الداخل

صقر قريش

وصفه صاحب البيان المغرب فقال: أظن صفته طويل القد.. أصهب.. أعور.. خفيف العارضين.. بوجهه خال.. له ضفيرتان.

لقبه الحليفة المنصور بصقر قريش.. ولقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك بني أمية.. ووصفه ابن الأثير يقوله: كان لسنا شاعراً حليماً عالماً حازماً.. سريع النهضة فى طلب الخارجين عليه.. لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة.. ولا يكل الأمور إلى غيره.. ولا ينفرد فى الأمور برأيه.. شجاعاً مقداماً بعيد الغور.. سخياً جواداً.. يقاس بالمنصور فى حزمه وشدته.

وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك.. ولد فى إحدى قري دمشق عام ١١٣ه.. مات أبوه وهو صغير فكفله جده هشام وفى العشرين من عمره حلت النكبة ببني أمية على أيدي بني عباس.. ففر عبد الرحمن بأهله وولده إلى ناحية الفرات.. واختفي هناك..

ويحكى عبد الرحمن ذلك فيقول:

كنت جالساً يوماً فى قرية على شط الفرات.. وفى ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي.. وابني سليمان يلعب أمامي.. إذ دخل صبى علىّ فزعا باكيا فأهوي إلى حجري.. فجعلت أدفعه لما كان بي.. وهو يأبي إلا التعلق بي.. فخرجت لأنظر فإذا بالروع قد نزل القرية وإذا بالرايات السوداء عليها منحطّة.. وكان معى أخ حدث السن فقام هارباً يقول لي: النجاة يا أخي فهذه الرايات السود (رمز العباسيين).. فقمت وتناولت ما لدى من الدنانير ونجوت بنفسي والصبي أخي معي.. وأعلمت إخوتي متجهي.. وأمرتهن أن يلحقني مولاي بدر.. وخرجت فكمنت فى موضع ناء عن القرية.. فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت بالدار فلم تجد أثراً.

ويواصل عبد الرحمن الداخل قوله:

ومضيت ولحقني مولاي بدر.. ولم يكن أمامنا غير السباحة فى الفرات.. فنادانا الناس من الشط: ارجعا لا بأس عليكما.. وكنا قد قطعنا نصف الفرات.. فخشي بدر على نفسه وعاد وقطعت أنا المسافة إلى الشاطئ.. ولجأت إلى غيضة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب عني.. ثم خرجت هارباً نحو المغرب حتى وصلت إلى إفريقية وهناك لحق بي مولاي بدر.

كانت هذه رحلة عبد الرحمن إلى المغرب وهناك تسلل إلى الأندلس وجمع حوله أنصار بني أمية ونازل يوسف الفهري والي الأندلس حينئذ فهزمه ودخل قرطبة سنة ١٣٨ه وهناك أسس دولة بني أمية بعد صعاب كثيرة واجهها وظل أميراً عليها ثلاثة وثلاثين عاماً إلى سنة وفاته عام ١٧٢ه.

وكان الأمير عبد الرحمن الداخل شاعراً وناثراً بليغا.. صور شعره أحداث عصره أحسن تصوير.

وكان قد بني الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام الذى بني الرصافة فى الشام.. وحينما نزل بها عبد الرحمن رأى فيها نخلة منفردة فهاجت شجنه وتذكر وطنه فقال:

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلةٌ تناءت بأرض الغربِ عن بلد النخلِ

فقلتُ شبيهى فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بُنَىَّ وعن أهلىِ

نشأت بأرض أنت فيها غريبةٌ فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلىِ

سقتك غوادى المزن من صوبها الذى يسِحُّ ويستمرى السماكين بالوبلِ

وقد عانى الغربة كثيراً برغم انتصاراته وفتوحاته الكبيرة.. وكأني به شـــاعراً يملك الإحساس المرهف والحنين إلى وطنه الشام فيقول:

أيها الراكب الميمّم أرضى أقْر من بعضىَ السلامَ لبعضـــيِ

إن جسمى كما علمت بأرضٍ وفـــؤادى ومالكيـــه بـــأرضِ

قُدِّر البينُ بيننا فافترقنا فعسى باجتماعنا سوف يقضى

أما أشعاره التى غلبت عليه فكانت تعبر عن نفسه العالية الطامحة وتأخذ بطابع الفخر.. ومن ذلك أن حضَّه بعض رفاقه على صيد غرانيق (الكراكي) وقعت إلى جانب معسكره فى إحدى غزواته فقال:

دعنى وصيد وقَّع الغرانقْ

فإن همى فى اصطياد المارقْ

فى نفق إن كان أو فى حالقْ

غُنيتُ عن روض وقصر شاهقْ

بالقفر والإيطان فى السرادقْ

فقل لمن نام على النمارقْ

بان العلا شُدَّت بهمٍّ طارقْ

فاركب إليها ثبج المضائقْ

أولا.. فأنت أرذلُ الخلائقْ

وحدث أن وفد إليه بعض أقربائه من بني أمية فنال عطاء.. لكنه استقله ولام الداخل **على ذلك فقال:**

شتان من قام ذا امتعاضٍ. مذ قال ما قال واضْـمَحلاَّ

ومن غدا مصلَّتا لعزمٍ مجـــرداً للعـــداةِ نصْـــلاَ

فجاب قفراً وشق بحراً ولم يكن فى الأنـــام كـــلاَّ

فشاد ملكاً وشاد عِزا ومنبـــراً للخطـــاب فصـــلا

وجنّد الجند حين أوْدَى ومصَّر المصْر حين أخـــلا

ثم دعا أهله جميعاً حيث انتأوا.. أن هلمّ أهلاَ

فجاء هذا طريدَ جوعٍ شديدَ روعٍ يخـــاف قـــتلاَ

فنال أمنا ونال شِبْعاً ونال مـــالا.. ونـــال أهـــلاَ

ألم يكن حق ذا على ذا أعظم من مـــنعم ومـــوْلىَ

أما شعره الذى يصوره سياسياً محارباً.. فهو كثير نختار منه هذه القصيدة التى قالها حينما بلغه بعض أعوانه يمن عليه.. ويزعم أنه لولاه لما صار الداخل إلى ما صار إليه من ملك ومجد:

لا يُلْفَ ممتنٌّ علينا قائلُ لولاى ما ملك الأنـــامَ الـــداخلُ

سعدى وحزمى والمهند والقنا ومقادرٌ بلغـــت وحـــالٌ حائـــلُ

إن الملوك مع الزمان كواكبٌ نجمٌ يطالعنـــا.. ونجـــم آفـــلُ

والحزمُ كل الحزمِ ألا يغفلوا أيروم تـــدبير البريـــة غافـــلُ

ويقول قومٌ سعدُه لا عقلهُ خير السعادة ما حماها العاقلُ

أبنى أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغماً والسعود قبائـــلُ

مادام من نسلى إمام قائم فالملك فيكم ثابـــت متأصـــلُ

وهكذا كان الأمير عبد الرحمن الداخل شاعراً صادقاً ســـلس العبـــارة واضـــح المعنى.. يصل شعره إلى المتلقي دون صعوبة.. فجمع بين حكمة الإمارة وسلاسة العبارة.

إبراهيم بن الأغلب

أمير النصر والشعر

كان الرشيد قد ولى محمد بن مقاتل العكّى أفريقيا سنة ١٨١ه.. وبدأ يجرى إصلاحات كثيرة.. لكنه لم يلبث أن اضطرب أمره.. واختلف عليه جنده.

وكان إبراهيم بن الأغلب واليا على الزاب فنهض لنصرة محمد بن مقاتل ودخل القيروان.. وصلي ركعتين بالمسجد ثم صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أن ابن مقاتل ما زال أميرهم.

ثم ولى إبراهيم بن الأغلب أفريقية بعد محمد بن مقاتل العكي فاستقل بها وأورث سلطانها لزمن طويل.

وكان إبراهيم عالما وخطيبا وشاعراً.. ذا رأى وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها – على حد وصف ابن الآبار فى الحلة السيراء –

ويؤكد ابن الآبار أن إبراهيم بن الأغلب لم يل أحد قبله من الأمراء أعدل فى سيرة ولا أحن لسياسة ولا أرفق برعية ولا أضبط لأمر منه.

ويروى عنه أنه منذ صغره طلب العلم.. واختلف إلى الفقيه الليث بن سعد الذى زوجه بجلاجل وخرج بها إلى أفريقيا.

وكان فى طريقه إلى أفريقيا.. قد بلغ طرابلس فدلس له كاتبه داوود القيروانى كتابا على لسان الرشيد باقراره على أفريقيا وانصرافه إلى عمله.. وبلغ ذلك الرشيد وعرف الحقيقة فكافأ إبراهيم بولاية أفريقيا ثانية.

وعليه اشتد سلطان إبراهيم وعظم شأنه.. وعفا عن داوود القيروانى وأسقط التثريب عليه وقبل مقامه وأمنه واستعمله.. ويعد ذلك من فضائله المأثورة.

أما شعره فيدور حول التقلبات التى عاشها إبراهيم منذ خلف أهله فـــى مصـــر قاصدا الزاب.. وفى هذا يقول:

ما سرت ميلاً ولا جاوزت مرحلةً إلا وذكرُك يَثْنـــى دائمـــا عنقـــى

ولا ذكرتكِ إلا بتّ مرتفقاً أرعى النجومَ كأن الموتَ معتنقي

ويهجو نصر بن حبيب الهلبي وكان تولي المغرب وعزل الفضل بن روح بـــن حاتم:

يا نصرُ قد أصبحت ألأم من مضى منكم وألأم حاضرٍ معلـــومِ

لما أشرت برد فضلٍ بعد ما قطع البلادَ على أقبَّ رســـومِ

لم ترض بالخذلان حتى كدتهَ لازلتَ مخذولا بغير حمـــيمِ

ما كنتَ حين غدوتَ تنشر لحيةً فيها لقومك غدرةٌ بكريمِ

لو كان نادانى أجبتُ دعاءه بالخيل أقحِمُها بسعد تمـــيمِ

خيل بها أهدى المنايا للعِدى وبها أفرج كربة المكظـــومِ

وحينما قرر أن يذهب لنجدة محمد ابن مقاتل بن العكي.. ودخـــل القيـــروان.. هرب من أمامه تمام بن تميم فقال:

لو كنت لاقيت تماماً لصال به ضربٌ يفرّقُ بين الروح والجسدِ

لكنه حين شام الموتَ يقدُمنى ولّى الفرار وخلّى لى عن البلـــدِ

إن يستقمْ نعفُ عما كان قدَّمه وإن يعُد بعدها فى غـــدرةٍ نعُـــدِ

ولقد كان إبراهيم موضوع الشعراء حين هب لنصرة ابن العكي وطـــرد تمـــام خارج القيروان.

وكان إبراهيم قد قبض على تمام وأخيه سلمه وأرسلهما إلى الرشيد فى بغـداد حيث حبسهما الرشيد فى المطبق حتى ماتا.. وفى هذا يقول:

ما سار كيدى إلى قومٍ وقد كُثروا إلا رمى شعبَهم بـالحزمِ فانصـدعَا

ولا أقول إذا ما الأمر نازلنى ياليته كان مصروفا.. وقـد وقعـاَ

حتى أجلّيَه قهراً بمعتزم كما يُجلِّـى الـدُّجى بـدرٌ إذا طلعـاَ

قوما قتلتُ وقوماً قد نفيتهمُ شاموا الخلافَ بأرض الغرب والبدَعاَ

كلا جزيتهمُ صدْعا بصدعهُم وكل ذى عملٍ يُجـزى بمـا صـنعاَ

ويروى أن راشد مولى عيسي بن عبد الله.. كان عاقلاً شـجاعاً.. قـد خـرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاه وانغمس به فى حجاج مصر وغير زيـه وألبسـه مدرعة وعمامة غليظة وصيره كالغلام يخدمه.. وانتهي به إلـى فـاس وطنجـة فأظهر إدريس هناك أمره وأخبره بنسبه.. وبلغ الرشيد ذلك فشق عليه وأمر بقتلـه فدبر ذلك إبراهيم بن الأغلب وفى هذا يقول:

ألم ترنى أرديتُ بالكيد راشداً وأنى بأخرى لابن إدريسَ راصـدُ

تناوله عزمى على بأْى داره بمختومـةٍ مـن طـيّهنّ المكائـدُ

وقد كان يرجو أن يفوت مكائدى كما كان يخشانى على البعد راشدُ

ثلاثون ألفا سُقتُهنّ لقتله لأصلح بالغرب الذى هـو فاسـدُ

فأضحى لدينا راشدٌ ينتبذنَهُ بنات المنايـا والحسـانُ الخرائـدُ

فتاة أخوعكٍ بمهلك راشدٍ وقد كنتُ فيها ساهراً وهـو راقـدُ

وهو يشير هنا إلى محمد بن مقاتل بن العكي الذى زعم للرشيد أنه هـو الـذى قتل راشدا

وظلت ولاية إبراهيم بن الأغلب لأفريقيا نحو اثني عشر عاماً وأربعـة أشـهر كانت تتسم بالقلاقل.. لكنها سجلت فى أشعاره تسجيلا صادقاً.

المنصور بن أبى عامر

أمير الأندلس

جمع فى شخصيته بين الإمارة والأدب.. وتربي تحت رعاية أبيه أبي حفص عبد الله.

وهو محمد بن عبد الله بن أبى عامر بن الوليد.. أمير الأندلس فى دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، والملقب بالمنصور.

ويفرد ابن الأبار فى كتابه {الحلة السيراء} فصلاً عنه فيقول:

أصله من الجزيرة الخضراء ولسلفه بها قدر ونباهة.. قدم قرطبة شاباً فطلب بها العلم وسمع الحديث ونطق الشعر ولقب بالمنصور أبي عامر.

وكانت له همة ترمى بها المرامي.. وبحدث نفسه بإدراك معالي الأمور.. وتم له مراده..

كان فى أول أمره وكيلا لأم هشام ينظر فى أموالها وضياعها.. ويجد وينهض بكل ما ترغبه.. حتى توفي الحكم وقلد هشام الخلافة وهو صغير.

ونتيجة لذلك.. انتفض العدو.. فضمن المنصور لأم هشام سكون الحال واستقرار الملك لابنها.. على أن يولي هو قيادة الجيش.

وبالفعل بدأت غزواته.. فهزم العدو.. وغزا بلاد الروم.. ودانت له الأندلس كلها وحسنت سياسته وعظمت هيبته.

ويصير هشام بن عبد الحكم خليفة لكنه لم يملك سلطة.. ولا رأيا.. ولا رهبة.

ولد المنصور محمد بن أبي عامر سنة ٣٢٧ه وهى تعرف بسنة الخندق.. حيث دارت معركة بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره واحتفل بذلك احتفالا كبيراً لكن ملك ليون هاجمه هو وقواته وهزمهم شه هزيمة .. وها هو المنصور يثأر لهذه الهزيمة حين خرج غازيا وظل فى رباط وحرب حتى وفاته ٣٩٢ه ودفن بمدينة سالم وكان قبره مكتوبا عليه:

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراهُ

تا الله لا يأتى الزمان بمثله أبداً ولا يحمى الثغور سواهُ

ويروى عنه أن دخل عليه الراوية أبو محمد الباجي فقال له:

- أصلحك الله وحفظك وأحسن عونك.

فرد عليه المنصور أجمل رد.. ووقرّه وقدره.. وقال له: كيف حالك اليوم؟

قال الباجي: بخير..

ثم استأنف الباجي كلامه:

- أي والد كان لك رحمة الله عليه.. كان والله من أهل الخير والعافية والصلاح والعفة .. والحرص على الطلب والمعرفة.. وكان لي خير صديق وصاحب.. ولم يكن فضوليا البتة.. وأما أنت فلم تتمثله.. وأدخلت يدك إلى الدنيا.. فانعمست فى لجها.

فقال المنصور: يا فقيه هكذا صاحب الدنيا لابد أن يخلط خيرا بشر ويأتى معروفا ومنكرا.. والله يتوب على من يشاء برحمته.

وبدأ المنصور رحلته مع الشعر فى صغره.. وربما كان شعره يترجم عن أعماله وطموحاته وغزواته ونسبه وحسبه.. ومن ذلك ما قاله فى الفخر:

رميتُ بنفسى هولَ كل عظيمةٍ وخاطرتُ والحر الكريم مخاطرُ

وما صاحبى إلا جنان مشيّع وأسمرُ خطىّ وأبيض باترُ

ومن شيمى أنى على كل طالب أجود بمال لا تقيه المعاذرُ

وإنى لزجّاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاقيها أسودٌ خوادرُ

وسدتُ بنفسى أهل كل سيادةٍ وكاثرتُ حتى لم أجد من أكاثرُ

وما شدتُ بنيانا ولكن زيادةٌ على ما بنى عبد المليك وعامرُ

رفعنا المعالى بالعوالى حديثهُ وأورثَناها فى القديم معافرُ

وعبد المليك (عبد الملك) هذا هو الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد.

وقد اشتد سلطان المنصور نتيجة غزواته وفتوحاته وانتصاراته وها هو يكتب إلى صاحب مصر يتوعده:

منَع العين أن تذوق المناما حبُّها أن ترى الصفا والمقَاماً

لى ديونٌ بالشرق عند أناسٍ قد أحلُّوا بالأشعرين الحراماَ

إن قضوها نالوا الأمانى وإلا جعلوا وزنها رقابا وهاماَ

عن قريب ترى خيولَ هشامٍ يبلغ النيلَ خطوها والرهاما

والمنصور بن أبي عامر مؤصل فى نسبه فهو معافري من حِمْير.. فأمه تميمة.. ولذلك قال فيه أبو عمر القسطلي:

تلاقت عليه من تميم ويعربٍ شموسٌ تلالا فى العلا وبدورُ

من الحميريين الذين أكفّهم سحائبُ تهمى بالندى وبحورُ

ومن قصائده التى يفتخر بها بفروسيته وفتوحاته هذه القصيدة التى يقول فيها:

ألم ترنى بعتُ الإقامة بالسُرى ولين الحشايا بالخيول الضوامرِ

تبدلت بعد الزعفران وطيبه صدا الدرع من مستحكمات المسامرِ

أرونى فتى يحمى حماى وموقفى إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكرِ

أنا الحاجب المنصور من آل عامرٍ بسيفى أقدُّ الهامَ تحت المغافرِ

تلادُ أمير المؤمنين وعبدهُ وناصحُه المشـــهودُ يـــوم المفـــاخرِ

فلا تحسبوا أنى شغلتُ بغيركم ولكن عهـــدت الله فـــى قتـــل كـــافرِ

ويروى أن المنصور أهدى إلى أبي مروان عبد الله بن أحمد بن شهيد الـــوزير عقيلة من عقائل الروم ومعها ثلاث جوار.. وكتب إليه معهن مداعبا:

قد بعثنا بها كشمس النهارِ فى ثلاث من المهـــا أبكـــارِ

فاجتهد واتئد فإنك شيخٌ خفىَ الليلُ عن بياض النهارِ

صانك الله عن كلالك فيها فمن العـــار كلَّـــةُ المســـمارِ

وهكذا يرحل المنصور عن الدنيا والسلطة والإمارة بعد أن سجل عنها الكثيـــر فى أشعاره ومجالسه.

أحمد شوقى

أمير الشعر الحديث

مشهد رائع يضم نخبة من المفكرين فى دار الرابطة الشرقية.. كان ذلك فى أواخر أكتوبر عام ١٩٢٦م.. قررت هذه النخبة تأليف لجنة باسم {اللجنة العامة لتكريم شوقى} ضمت د. طه حسين وأحمد أمين ومحجوب ثابت.. ومى زيادة.. وعبد العزيز البشري.. وأحمد حافظ عوض.. وأنطون الجميل.. وغيرهم.

وتحدد يوم ٢٩ أبريل عام ١٩٢٧م موعدا لهذا الاحتفال ويستمر أسبوعاً كاملاً.

وما أن نشر هذا الإعلان حتى وصلت اللجنة أنباء عن تأليف وفود رسمية وشعبية من أبناء الأقطار العربية وأدبائها.

وفى بغداد قرر منتدى التهذيب إقامة حفل تكريم لشوقي فى اليوم نفسه الذى تحتفل به القاهرة.

وتوالت الهدايا على شوقي.. حيث أرسل أمير البحرين نخلة من الذهب وثمارها من اللؤلؤ.. وبعث الاتحاد النسائي كأساً ذهبية.. كما قدم النادي العربي بعدن قلما من الذهب.. وقدم النادي العربي فى بمباي علبة من الفضة داخلها إطار فضي حول قصيدة (قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا) لشوقي.. وقدم المجاهدون السوريون كتاب تكريم ممهورا بدم الأبطال.

وجاء يوم التكريم.. واجتمعت الوفود بدار الأوبرا.. وصدحت الموسيقى.. وكان يوما مشهود حقاً..

وتوالت الكلمات والقصائد التى تتناول هذه القامة الأدبية الكبيرة حتى جاء دور حافظ إبراهيم لينشد:

بلابل وادى النيل بالمشرق اسجعى بشعر أمير الدولتين ورجّعى

أعيدى على الأسماع ما غردت به براعةُ شوقى فى ابتداء ومقطعِ

إلى أن وصل إلى قوله:

أمير القوافى قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معــى

فغن ربوع النيل واعطف بنظرة على ساكنى النهرين واصدح وأبدعِ

وتوقف حافظ عن الإنشاد وتقدم من شوقي الذى كان يجلس قريباً منه.. ومد يده مبايعا.. فعانقه شوقي ودوت القاعة بالتصفيق والتهليل..

ويقوم محمد توفيق دياب ليلقي قصيدة شوقي:

مرحبا بالربيع فى ريعانه وبــأنواره وطيــب زمانِــه

رقت الأرض فى مواكب آذا روشب الزمان فى مهرجانِــه

أين نور الربيع من زهر الشع ر إذا ما استوى على أفنانِــه

لم تثر أمة إلى الحق إلا بهدى الشعر أو خطا شيطانِه

قلدتنى الملوك من لؤلؤ البح ريْن آلاءهــا ومــن مرجانِــه

نخلةً لا تزال فى الشرق معنى من بداواته.. ومــن عمرانِــه

وحبتنى بمبای نصلٌ يراعٍ أفرغ الودَّ فيه مــن عقيانِــه

شرفت مصر بالشموس من الشر ق نحومِ البيانِ مــن أعيانِــه

لستُ أنسى يداً لإخوان صدقٍ منحونى جزاء ما لــم أعانِــه

كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاءَ فــى أحزانِــه

وتتابعت الاحتفالات فى الأيام التالية فى مسرح الأزبكية.. وكازينو الجزيرة وفى غيرها.. وغنى عبد الوهاب وغنت أم كلثوم.. وتوالت الأبحاث والقصائد وتوج أحمد شوقي أميراً للشعر الحديث.

ولد أحمد شوقي السادس عشر من أكتوبر عام ١٨٧٠ وتوفي فى الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٢.. وبين هذين التاريخين مسيرة حافلة بالعطاء الشعري والأدبي يستحق عليها الإمارة والسبق.

كان أبوه على شوقي قد رأى فيما يراه النائم حلماً عجيباً فسأل صديقه الشاعر على الليثى أن يفسر له هذا الحلم فقال له: ليولدن لك ولد يخرق كما يقول العامة خرقا فى الإسلام..

وحينما خرج الوليد أحمد شوقي إلى النور.. كان أبوه يشكو البطالة والفقر.. فحملته جدته لأمه (نمزار) ورعته فى بيتها.

ولاحظت الجدة أن الطفل حلو القسمات لكنه لا ينزل بصره عن السماء.. فدخلت به على الخديوى إسماعيل وأخبرته بما لاحظته من علة من عيني الصغير.

فضحك الخديوي وأخرج قبضة من الذهب من جيبه المملوء به.. وألقاها على الأرض.. فلما رأى الصغير توهج الذهب خفض عينيه المرتفعتين.. فقال الخديوي: كلما رفع عينيه إلى أعلا انثري له ذهبا حتى يعتاد النظر إلى أسفل..

فابتسمت الجدة وقالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي.

قال الخديوي: جيئى به إلىّ متى شئت فأنا آخر من ينثر الذهب فى مصر!.

ويتلقى شوقى تعليمه فى الكتاب ثم فى مدرسة (المبتديان).. وكان مشغوفا بشعر البارودي.. كما بدأ يقرأ الأدب ودواوين الشعر القديم فهذا أبو فراس يزيده حمية بفخره.. وأبو العلاء يأسره بحكمته وفلسفته.. وأبو العتاهية يبكيه بزهده.. والبهاء زهير فى تدفقه المعجز.. لكن المتنبي كان يمثل لديه نبي الشعر.

ويروى عن شوقى وهو فى مرحلة الدراسة أنه بدأ يكتب الشعر.. ومرة سـأله زميل: ماذا أعددت لامتحان اليوم؟

قال شوقي: سوف أجيب بالشعر..

قال زميله: لكنها الجغرافيا وليس الأدب ولا الشعر.

قال شوقي: سوف ترى..

قال زميله: أسمعني..

قال شوقي:

أفريقيا قسم من الوجود فـى شـكله أشـبه بـالعنقودِ

وذلك العنقود فى الماء انغمر ما أملح الماء وما أحلى الثمر

وأكمل شوقي قصيدته.. فضحك الزملاء.

وكان شوقي يعرض أشعاره الأولي على الأستاذ حسن المرصفي الذى يوجهـه ويدربه على العَروض..

وينشأ شوقي نشأة ارستقراطية فى قصر الخديوي.. ولكن هذه النشأة لم تبعـده عن هموم وطنه.. وعن مقاومة الاستعمار.. وعن الشعور بالوطنية الصادقة.

ويحصل شوقي على إجازة الحقوق لكنه سافر إلى باريس عام ١٨٨٧م ليكمـل دراسته فى القانون.. وهناك تعرف على أدب الغرب.

وفى فرنسا ينشئ مع بعض المصريين (جمعية التقدم المصري) وتصدر الجمعية مجلة (التقدم المصري) تؤكد ضرورة استقلال مصر وحريتها..

ويراسل الأهرام بقصائده:

هذه مصر جاءها الدهر يسعى وهو يا طالما جفاها.. وصــدّا

ليس للدهر من وفاء ولكن هاب فيها العباسُ أن يســتبدّا

صاحب النيل للبرية إيه حــــرر النيــــل للبريـــة.. ورداَ

وارفع الصوتَ إن عصرك حرٌّ لن يرى من سماع صوتك بُدّا

ويتعرف فى فرنسا على أدب لافونتين.. فيترجم خرافاته للأطفـــال ويســـمعها لأطفال المصريين فى فرنسا..

ويتعرف على أدباء فرنسا.. ويقرأ أعمالهم الأدبية والمسرحية مما جعله فيمـــا بعد يكتب المسرحية الشعرية ويضيف بها إلى العطاء العربي ملمحاً جديداً.

ويتم دراسته عام ١٨٩٣ ليعود إلى القصر ليعمل بالترجمة لدي الخديوي عباس حلمي الثاني.. ويبدأ يكتب وطنياته وينشرها.. ويضيق به الإنجليز ويخيرونه فـــى منفاه فيختار الأندلس.. وهناك يقضي سنوات طويلة.. ويحدث فى مصر أحـــداث جسام منها قيام ثورة ١٩١٩ التى حرم الاشتراك فيها.. لكنه عـــاد فـــى فبرايـــر ١٩٢٠ ليبدأ مرحة دقيقة من مراحل النضال الوطني بالشعر..

لقد أبدع شوقي قصائده فى أغراض كثيرة.. وديوانه مقسم إلى هذه الأغراض.. الوصف– النسب– الوطنيات– الإسلاميات– الاجتماعيات– الأطفال– متفرقات.

تعددت إذن أغراض شعره.. وكان يبدع فى كل غرض إبداعاً ممتازاً شهد لـــه نقاد عصره وشعراؤه.. ولاقي أيضا نقدات أخرى قاسية من بعضهم مثـــل العقـــاد وشكري والمازني فى كتابهم {الديوان}.

اختلف عليه النقاد لأنه قيمة شعرية كبيـــرة تســـتحق الإمـــارة علـــى الشـــعر والشعراء..

وحينما أرسل إلى المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد فى جنيف عام ١٨٩٤ مندوبا عن الحكومة المصرية. طولب بكلمة يلقيها فى هذا المؤتمر. فلم يكن أمامه غير الشعر:

همت الفلكُ واحتواها الماء وحداها بمن ثقل الرجاءُ

ضرب البحرُ ذو العباب حوالي ها سماءً قد أكبرتها السماءُ

رب إن شئت فالفضاء مضيقٌ وإذا شئت فالمضيق فضاءُ

فاجعل البحر عصمةً وابعث الرح مة فيها الرياحُ والأنواءُ

أنت أنسٌ لنا إذا بعد الأن سُ وأنت الحياة والإحياءُ

ثم يشيد بتاريخ مصر:

وبنينا فلم نخل لبان وعلونا فلم يجزنا علاءُ

وملكنا فالمالكون عبيد والبرايا بأسرهم أسراءُ

قل لبان بني فشاد فغالي لم يجز مصر في الزمان بناءُ

ليس في الممكنات في تنقل الأج بال شما وأن تُنال السماءُ

أجفل الجن عن عزائم فرعو ن ودانت لبأسها الآناءُ

أين كان القضاء والعدل والحك مة والراي والنهي والذكاء

وبنو الشمس من أعزة مصر والعلوم التي بها يستضاءُ

ويطوف شوقي بتاريخ مصر منذ الفراعنة حتى عصره.. وهى قصيدة طويلة تعد مفخرة من مفاخر الشعر.. يقول فى ختامها:

علمت كل دولة قد تولت أننا سمُّها وأنا الوباءُ

وبالرغم من أن أحمد شوقي قد لقب بشاعر الأمير فإنه لم يتخل يوماً عن وطنه.. ومواقفه من الاستعمار.

وقد ركز كثيرا من النقاد على وطنية شوقي منهم د. أحمد الحوفي وأحمد زكى عبد الحليم وغيرهما.. فكتبوا عن مواقفه من الأحداث الكبيرة.. مثل حادثة دنشواي والتى يقول فيها:

يا دِنشِوايَ عَلى رُباكِ سَلامُ ذَهَبَت بِأُنسِ رُبوعِكِ الأَيّامُ

شُهَداءُ حُكمِكِ في البِلادِ تَفَرَّقوا هَيهاتَ لِلشَملِ الشَتيتِ نِظامُ

مَرَّت عَلَيهِم في اللُحودِ أَهِلَّةٌ وَمَضى عَلَيهِم في القُيودِ العامُ

كَيفَ الأَرامِلُ فيكِ بَعدَ رِجالِها وَبِأَيِّ حالٍ أَصبَحَ الأَيتامُ

عِشرونَ بَيتاً أَقفَرَت وَاِنتابَها بَعدَ البَشاشَةِ وَحشَةٌ وَظَلامُ

يا لَيتَ شِعري في البُروجِ حَمائِمٌ أَم في البُروجِ مَنِيَّةٌ وَحِمامُ

نوحي حَمائِمَ دِنشِوايَ وَرَوِّعي شَعباً بِوادي النيلِ لَيسَ يَنامُ

السوطُ يَعمَلُ وَالمَشانِقُ أَربَعٌ مُتَوَحِّداتٌ وَالجُنودُ قِيامُ

وَالمُستَشارُ إِلى الفَظائِعِ ناظِرٌ تَدمى جُلودٌ حَولَهُ وَعِظامُ

وَعَلى وُجوهِ الثاكِلينَ كَآبَةٌ وَعَلى وُجوهِ الثاكِلاتِ رُغامُ

أما اللورد كرومر الذى كان يحكم مصر فى وجود الخديوي وقاست مصر فى زمانه من التعنت والظلم والجبروت.. فحينما تقرر أن يرحل إلى بلاده أقيم له حفل توديع فى دار الأوبرا.. وحاول كرومر أن يبرر ما كان يفعله فى مصر فقال: إننا فى ربع قرن قد أدينا عملاً طيباً على ما فيه من قصور وتقصير.. ولكن كثيرين يقولون لي إن المصريين لا يعترفون كثيراً بالجميل والخدمات التى لا أشك فى أنها قدمت لهم.

وها هو أحمد شوقي يرد عليه بقسوة:

أيامكم أم عهد إسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوس النيلا

أم حاكم فى أرض مصر بأمره ... لا سائلاً أبدا ولا مسئولا

يا مالكاً رقّ الرقاب ببأسه ... هلا اتخذت إلى القلوب سبيلا

لما رحلت من البلاد تشهدّت ... فكأنك الداء العياءُ رحيلا

أوسعتنا يوم الوداع إهانةً ... أدب لعمرك لا يصيب مثيلا

أحسبت أن الله دونك قدرةً ... لا يملك التغيير والتبديلا

فرعون قبلك كان أعظم سطوةً ... وأعز بين العالمين قبيلا

أما موقف شوقي من ثورة ١٩١٩ فقد كان واضحا ووطنيا.. برغم أنه لم يكن فى مصر آنئذ.. وكان فى منفاه بالأندلس.. ولهذا عبر عن أسفه لحرمانه الاشتراك فى هذه الثورة حينما قال:

يوم البطولة لو شهدتُ نهاره ... لنظمت للأجيال ما لم ينظمِ

لولا عوادى النفى أو عقباته ... والنفى حال من عذاب جهنمِ

لجمعت ألوان الحوادث صورة ... مثلت فيها صورة المستسلمِ

وحكيت فيها النيل كاظم غيظه ... وحكيته متغيظاً لم يكظمِ

وحينما رثي سعد زغلول مفجر الثورة قال:

ولد الثورةَ سعدٌ حرةً بحيـــاتَىْ ماجـــد حـــر نماهـــا

بارك الله لها فى فرعها وقضى الخير لمصر فى جناها

قد كتبناها فكانت صورةً صدرها حقٌ وحـــق منتهاهـــا

ولم يترك شوقي حدثاً إلا كتب فيه فقد كتب عن مشـــروع ملنـــر.. والدســـتور وعرابي ومصطفى كامل.. ومحمد فريد.. والبلاد العربية وغيرها.

وتتعدد أغراض شعرة.. ويشتهر بالقصائد المغناة مثل: نهج البردة.. والهمزيـــة النبوية.. وقصيدة النيل.. كما كتب لعبد الوهاب أشعاراً بالعامية مثل: بلبل حيران– النيل نجاشي.. وغيرهما.

ففي نهج البردة.. يعارض البوصيري بقوله:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشـــهر الحـــرمِ

لما رنا حدثتنى النفس قائلةً يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمـــيِ

جحدتها وكتمتُ السهم فى كبدى جرح الأحبة عنـــدى غيـــر ذى ألـــمِ

رزقتَ أسمح ما فى الناس من خلُقٍ إذا رُزقتَ التماسَ العذرِ فـــى الشّـــيمِ

يالائمى فى هواه والهوى قدرٌ لو شفك الوجد لم تعـــذِل ولـــم تلُـــمِ

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فنمِ

وعلى هذا النحو حتى يصل إلى كبد الموضوع وهو مدح النبي {ص} فيقول:

لزمت باب أمير الأنبياء ومن يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
فكل فضل وإحسان وعارفة ما بين مستلم منه وملتزم
محمد صفوة الهادي ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متي الورود وجبريل الأمين ظمي
ونودي أقرأ تعالي الله قائلها لم تتصل قبل من قيلت له بفم
هناك أذن للرحمن فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم

أما مصر وآثارها فكان لها نصيب كبير فى أسعار شوقي.. ومن قصائده الممتازة فى هذا الغرض قوله فى أبى الهول:

أبا الهول طال عليك العُصُرْ وبُلّغتَ فى الأرض أقصى العُمُرْ
إلامَ ركوبُك متن الرما ل لطىّ الأصيل وجوب السحرْ
تسافر منتقلاً فى القرو نِ فأيان تلقى غبار السفرْ
أبينك عهد وبين الجبا لِ تزولان فى الموعدِ المنتظرْ
أبا الهول ما أنت فى المعضلات لقد ضلت السبل منك الفكرْ
تحيرت البدو ماذا تكو نُ وضلّت بوادى الظنون الحضرْ
فكنت لهم صورة العنفوا ن وكنت مثالَ الحجى والبصرْ
أبا الهول أنت نديم الزما نِ نجىّ الأوان.. سمير العصرْ
بسطت ذراعيك من آدم ووليت وجهك شطر الزُّمَرْ
فعين إلى من بدا للوجودِ وأخرى مشبعةٌ من غبرْ

وينهى شوقي قصيدته بقوله:

فلم يبق غيُرك من لم يحفّ ولم يبق غيُرك من لم يطــرْ

تحرك أبا الهول هذا الزما نُ تحرك ما فيه حتى الحجرْ

كان أمير الشعراء إذن وطنيا يحب وطنه ويناضل من أجــل اســتقلاله فجــاء بصور وطنية عذبة عميقة تسللت إلى وجدان الشعب المصري فكانــت دســتوراً للحرية والثورة على الاستعمار.

ولن يموت شوقي.. وحسبنا نحتفل به سنويا لنستعيد مواقفه الوطنية.. وإمارتــه للشعر.. تلك الإمارة التى استحقها عن جــدارة وشــهد بهــا الأدبــاء والنقــاد.

أحمد سويلم

- مواليد: ١٩٤٢ بيلا/ كفر الشيخ مصر
- بكالوريوس تجارة ١٩٦٦
- مدير عام النشر بدار المعارف (١٩٧٧١٩٩٥)
- نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر (١٩٩٥٢٠٠٢)
- مدرس مادة أدب الأطفال كلية تربية حلوان (١٩٩٠١٩٩٥)
- مدرس مادة نشر الكتاب بأكاديمية أخبار اليوم (٢٠٠٣٢٠٠٦)
- مستشار النشر بدار المعارف (حاليا).
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة/ عضو شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة
- عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب عضو نقابة الصحفيين/ عضو مجلس إدارة جمعية الأدباء (نائب رئيس مجلس الجمعية)
- رئيس تحرير سلسلة الإبداع الشعري المعاصر (الهيئة العامة للكتاب)
- رئيس تحرير سلسلة مختارات (الهيئة العامة لقصور الثقافة)
- جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب لشعراء الوطن العربى الشباب { ١٩٦٥ / ١٩٦٦ }
- كاس القبانى فى الشعر ١٩٦٧ سكرتير لتحرير مجلة الشعر { ١٩٧٦ / ١٩٧٧ }
- جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر ١٩٨٩ الدكتوراه الفخرية فى الآداب من الأكاديمية العالمية للثقافة والفنون ١٩٩٠ " كاليفورنيا " جائزة كافافيس ١٩٩٢ جائزة أندلسية للثقافة والعلوم ١٩٩٧
- جائزة الدولة للتفوق فى الآداب ٢٠٠٦
- مثل كتاب مصر وشعراءها فى المهرجانات الدولية والعربية ٠

الأعمال الشعرية

* الطريق والقلب الحائر	دار الكاتب العربى	١٩٦٧
* الهجرة من الجهات الأربع	مؤسسة التأليف والنشر	١٩٧٠
* البحث عن الدائرة المجهولة	دار الناشر العربي	١٩٧٣
* الليل وذاكرة والأوراق	مكتبة مدبولي	١٩٧٧
* الخروج إلى النهر	هيئة الكتاب	١٩٨٠
* السفر والأوسمة	دار الشروق	١٩٨٥
* العطش الأكبر	مكتبة مدبولي	١٩٨٦
* الشوق فى مدائن العشق	هيئة الكتاب	١٩٨٧
* قراءة فى كتاب الليل	دار الشروق	١٩٨٩
* الأعمال الشعرية ج ١ (٨ دواوين)	هيئة الكتاب	١٩٩٢
* شظايا	دار الشروق	١٩٩٣
* الزمان العصىّ	هيئة الكتاب	١٩٩٥
* الرحيل إلى المدن الساهرة	هيئة قصور الثقافة	١٩٩٧
* لزوميات	هيئة الكتاب	١٩٩٧
* الأعمال الشعرية ج ٢ (٥ دواوين)	هيئة الكتاب	١٩٩٩
*المختارات الشعرية	هيئة الكتاب	١٩٩٩
* جناحان الى الجوزاء	دار قباء	٢٠٠٠
* رعشة فى الأفق	دار الشروق	٢٠٠٢

* صرخات فوق قبة الأقصى	هيئة الكتاب	٢٠٠٢
*عرس النار	هيئة قصور الثقافة	٢٠٠٥
*قراءة فى أوراق الغياب	هيئة الكتاب	٢٠٠٧
*الدوائر	هيئة الكتاب	٢٠٠٨
*الوجوه والمرايا	هيئة قصور الثقافة	٢٠١٠
*تراتيل الغضب	هيئة الكتاب	٢٠١١
* ما لم يقله السندباد	دار الأدباء	٢٠١٥

المسرح الشعرى

* أخناتون	دار المعارف	١٩٨٢
* شهريار	هيئة الكتاب	١٩٨٣
* الفارس	هيئة الكتاب	٢٠٠١/١٩٩٥
* الأعمال المسرحية (٣ مسرحيات)	هيئة الكتاب	١٩٩٩
*المجهول المعلوم	هيئة الكتاب	٢٠٠٩

دراسات

* شعرنا القديم رؤية عصرية	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨١
* المرأة فى شعر البياتي	هيئة الكتاب	١٩٨٤
* أطفالنا فى عيون الشعراء	دار المعارف/ هيئة الكتاب	٢٠٠٢/١٩٨٥
* محمد الهراوى شاعر الأطفال	المركز القومي لثقافة الطفل	٢٠٠٨/١٩٨٦
* التربية الثقافية للطفل العربى	مركز الكتاب للنشر	١٩٩١
* مسلمون هزموا العجز	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩١
* عظماء أغفلهم التاريخ	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٣

* مجانين العشق العربى	أخبار اليوم/ نهضة مصر	١٩٩٣/٢٠٠٦
* الإعلام الشعري فى التراث العربى	هيئة الكتاب	١٩٩٥
*الفكر الإسلامي فى ثقافة الطفل العربي	مركز الكتاب	١٩٩٧
* محمود سامى البارودى	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٨
* قيس بن الملوح	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٨
* عنترة بن شداد	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٨
* شعراء العمر القصير (٢ج)	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٠
*ديك الجن	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٢
* نوادر الشعراء فى الظرف والذكاء	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٢
*ثقافتنا فى مفترق الطرق	الشروق الدولية	٢٠٠٤
*الشعراء والسلطة	دار الشروق	٢٠٠٥
*الشعراء والرسول	دار الهدي	٢٠٠٥
*شعراء كتبوا للأطفال	وزارة الشباب	٢٠٠٦
*عشاق الحياة	سفير	٢٠٠٧
*حكاية الأيام والشهور	سفير	٢٠٠٧
*مختصر مجمع الأمثال للميداني	هيئة الكتاب	٢٠٠٨
*عشرون من شعراء المنافي والسجون	دار الطلائع	٢٠١١
*موسوعة الشعراء العرب الأسماء والألقاب والكنى	دار العالم العربي	٢٠١١
*فى شبابهم صنعوا التاريخ	دار المعارف	٢٠١٢
*الشعراء فى مجالس الخلفاء	دار الكتاب	٢٠١٤
*إطلاله على عالم البراءة	دار المعارف	٢٠١٤

الأطفال

* حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات)	دار الشروق	١٩٨٠
*عشر مسرحيات شعرية	مؤسسة الخليج العربي	١٩٨٧
* حكمة الأجداد (قصص ٣٠ مثلا عربيا)	مؤسسة الخليج العربي	١٩٨٩
*أبو العلاء المعرى	دار المعارف	١٩٩٣
*مدائن إسلامية (٨ كتب)	سفير	١٩٩٣
* طفولة عظماء الإسلام (٨ كتب)	سفير	١٩٩٣
* أتمنى لو (قصائد)	هيئة الكتاب	١٩٩٤
* ديوان الطفل ما قبل المدرسة	التربية والتعليم	١٩٩٥
* بستان الحكايات (١٠ قصص شعرية)	قطر الندي	١٩٩٦
* ديوان الفتى العربى ج ١	دار الشروق	١٩٩٧
* تعالوا نغنى حروف الهجاء	المكتب العربي للنشر	١٩٩٧
*قصائد للأطفال	الدار الثقافية	٢٠٠٢
*أحب أن أكون (شعر)	الدار الثقافية	٢٠٠٢
* أنا وأصدقائي (شعر)	هيئة الكتاب	٢٠٠٠
*المسرح الشعري للأطفال (٥مسرحيات)	دار الكتاب اللبناني	٢٠٠٢
*فلسطين عربية (شعر)	نهضة مصر	٢٠٠٤
*يقول المثل العربي (شعر)	دار الشروق	٢٠٠٤
*واحة الحيوان (قصص شعرية)	قطر الندي	٢٠٠٥
*أحلامي (شعر)	هيئة الكتاب	٢٠٠٥
*أنا أحب الحياة (١٠ كتب)	دار البستانى	٢٠٠٧/٢٠٠٦

*سير وملاحم عربية (٥كتب)	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٧
*رحلة فى قطار الشعراء (للشباب)	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٧
*حكايات وأغانى أحمد شوقي	دار الهلال	٢٠٠٧
*يحكى أن (قصص شعرية) ١٠ قصص	نهضة مصر	٢٠٠٧
*عالم الحيوان للصغار	هيئة الاستعلامات	٢٠٠٨
*ديوان شوقي للناشئة	دار الشروق	٢٠٠٨
*حكاية الفرعون الصغير	دار الشروق	٢٠٠٨
*المعجم الصغير	دار الشروق	٢٠٠٨
*حكايات من الشرق والغرب	الناشرون المتحدون	٢٠٠٩
*أمثال وحكايات	الناشرون المتحدون	٢٠٠٩
*أيها الشاب المحب	المجلس القومى للشباب	٢٠١٠
*أحلامى الجميلة (شعر)	هيئة الكتاب	٢٠١٠
*أشهر الأساطير والملاحم الأدبية	دار العالم العربى	٢٠١٠
*أشهر العقائد الدينية فى العالم القديم	دار العالم العربي	٢٠١١

Ahmedswelam41@gmail.com

الفهرس

م	العنوان	رقم الصفحة
١	أما قبل	١
٢	امرؤ القيس.. أمير الشعر القديم	٣
٣	عمرو بن كلثوم.. سيد بنى تغلب	١٨
٤	عروة بن الورد.. زعيم الصّعاليك	٢٤
٥	قيس بن زهير.. الشاعر الداهية	٢٩
٦	عامر بن الطفيل.. سيد بنى عامر	٣٤
٧	يزيد بن معاوية.. وخلافة الشعر	٤١
٨	الوليد بن يزيد.. أمير اللهو والعشق	٤٦
٩	المأمون.. العالم الشاعر	٥٤
١٠	عبد الله بن المعتز.. لسان بنى العباس	٦٠
١١	الشريف الرضى.. أمير الحج والمظالم	٦٥
١٢	أبو فراس الحمدانى.. الأمير الأسير	٧١
١٣	المعتمد بن عباد.. ودولة الشعر	٧٩
١٤	عبد الرحمن الداخل.. صقر قريش	٨٥
١٥	إبراهيم بن الأغلب.. أمير النصر والشعر	٩٠
١٦	المنصور بن أبي عامر.. أمير الأندلس	٩٣
١٧	أحمد شوقي.. أمير الشعر الحديث	٩٧